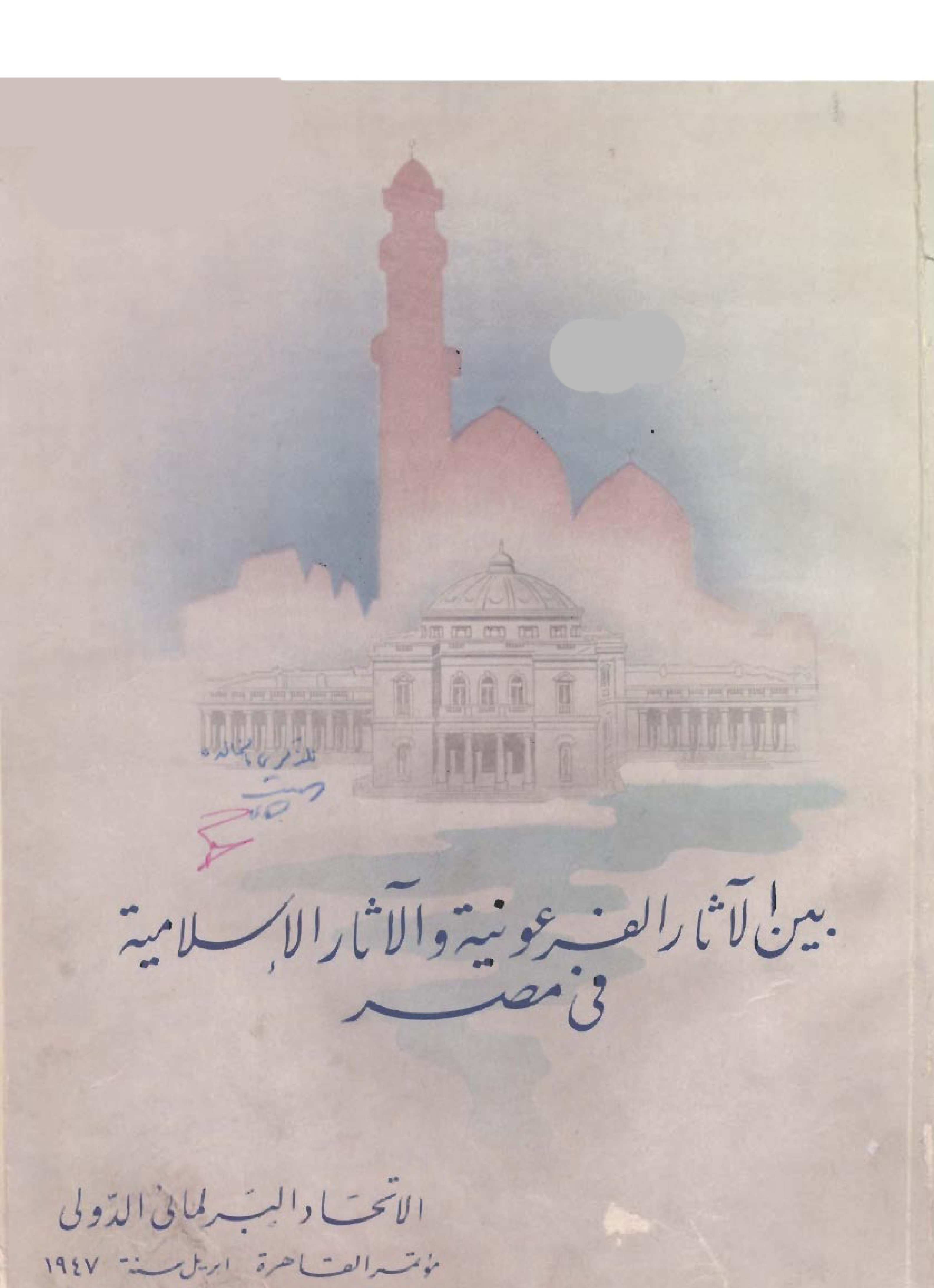


بين الآثار الفرعونية والآثار الإسلامية في مصر

الاتحاد البرلماني الدولي

مؤتمر القاهرة ابريل سنة ١٩٤٧

مصر الفرعونية

إن التراث الذى خلفته مصر الفرعونية للعالم يعد أثمن وأبقى ما ورثته الإنسانية ، فهو آثار العهد الذى هيأ للإنسان فى العالم القديم أن يتحرر من قيود الحياة البدائية ، وأن يسير بخطوات واسعة نحو الرقى والمعيشة الهادئة فى وسط هيئت له فيه أسباب الحياة وأسلحتها . و إنه لمن حسن الحظ أن طقس مصر وتربتها الجافة حفظت لنا الكثير من شواهد هذه المدنية العظيمة بآثارها وأخبارها ومراسمها .

و إذا حاولنا أن نحيط بمدى أثر مصر فى حضارات الأمم القديمة جمعاء ، فما علينا إلا زيارة المتاحف والآثار وقراءة النصوص المصرية والاطلاع على أخبار أهل ذلك الزمان . وما علينا إلا أن ندرس التفكير البشرى كيف بدأ وكيف مضى يتعثر فى خطواته الأولى قبل أن يصل إلى نور الحقائق الساطعة . والواقع أن الإنسان العصرى قلما يفكر فى فن الكتابة مثلا وكيف تطلب جهداً كبيراً من التحسين والتجارب قروناً عديدة ، وقلما يفكر فى أن تطور الجماعات من المرحلة القبلية إلى المرحلة الاجتماعية المنظمة لم يصل إلى هذا المدى إلا بعد جهاد طويل عنيف .

وحسب المرء دراسة التاريخ والحضارة العالمية من واقع النصوص والآثار التى خلفتها تربة مصر لكى يظفر بصورة شائقة عن تطور الفكر الإنسانى من العصر الحجرى إلى عصر الإمبراطوريات .

يعتبر العصر الحجرى القديم (البليوليتكى) جزءاً لايتجزأ من تاريخ مصر القديم ، وهو ما أثبتته اكتشافات العالم الفرنسى الأب بوفير لابيير Bouvière Lapierre . والطابق الأول فى المتحف المصرى هو أحسن مكان لدراسة هذه الاكتشافات وإظهار أهميتها . ويسهل علينا التحقق من ترقى التفكير العالمى والصعود إلى درجات الرقى بملاحظة الأحقاب المختلفة فى التاريخ

المصرى القديم . فقد انتقلت مصر من النظام القبلى بعيوبه المعروفة ونطاقه الضيق ونزعاته الدامية إلى نظام حكومة الملكية المركزة التى يتمتع القائمون عليها بقدسية خاصـة . وتعتبر مصر أقدم مثل فى التاريخ لأمة متحدة تحت تاج واحد يرعى مصالح الشعب المتضامنة .

إن الدولة القديمة (من سنة ٢٧٧٨ إلى سنة ٢٥٦٣ ق.م) وهى عصر بناء الأهرام توضح نظرية السلطة المقدسة أو الحق الإلهى فى ماخلفته لنا من مبان وآثار . فـكان الفرعون (ومعناه صاحب البيت العالى أو الباب العالى) يشرف فى حياته على رعاياه من أعلى قصره ، وفى موته يرقد فى الهرم المشيد المحاط بقبور رعاياه (لوحة ١) .

ثم حل نظام حكم متمش مع التطور فى عصر الدولة الوسطى محـل السلطة المطلقة فى الدولة القديمة ، كما حل القانون وأسس الحـكم محل التصرف المطلق للرئيس . واقترن ذلك بقيـام نظام اجتماعى جديد محل الدكتاتورية المقدسة . كما اقترن بظهور لون من الأدب الرائع والمعمار المنسجم الذى يدل دلالة كبيرة على مبلغ ذلك التطور الهام .

أما فى عصر الدولة الحديثة (من سنة ١٥٨٠ — إلى سنة ١٠٩٠ ق . م) فقد امتدت الأراضى المصرية من حدود أثيوبيا إلى أطراف الفرات ، وهو العصر الذى كانت فيه مصر إمبراطورية واسعة الحدود . وهنا عمدت السلطة الحاكمة إلى وضع نظام للامبراطورية يوجد بين رعاياها المختلفين ويربطهم جميعاً برباط مقدس هو تاج فرعون المشترك الذى يقوم على رأس هذه الإمبراطورية . وقد بلغ نجاح هذا النظام وسداد هذه السياسة أن استمد اسكندر الأكبر وأباطرة الرومان سياستهم الإمبراطورية من تقاليد الإمبراطورية المصرية فى الدولة الحديثة . وقد تـكلل هذا العصر برسالة امينوفيس الرابع فى نشيده إلى الشمس يدعو الشعوب إلى التآخى والمحبة التى يمليها إشراق الشمس من أعلى السموات على الخليقة مهما اختلفت عناصرها وعقائدها . وقد تمـكنت مصر من أن تجتاز هذه المراحل المختلفة وتستفيد من التجارب بفضل وحدتها السياسية ووحدتها الجغرافية .

هذه الوحدة التى لم تعقها حواجز من البحر الأبيض المتوسط إلى أقاصى النوبة مهدت السبيل



أهرام أبو صير — الأسرة الخامسة

لوح الملك نعرمر — الأسرة الأولى



تمثال من الديوريت للملك خفرع
باني الهرم الثاني بالجيزة



تمثال من الخشب فيه جميع مظاهر الحياة
وهو معروف باسم شيخ البلد

للحضارة التى سار موكبها أربعين قرناً لم تتأثر بحضارات أخرى ، اللهم إلا فترات انقلابية قصيرة لا بد من وقوعها فى حياة الشعوب .

هناك حضارات قديمة قامت إلى جانب الحضارة المصرية فى الشرق الأوسط فى محيط الهلال الخصيب (الذى يبدأ طرفه الشرقى فى الدلتا وينتهى الطرف الآخر فى الفرات) مثل الحضارات السومارية والبابلية والأشورية التى لعبت دوراً هاماً فى تطور المدنية ، ولم تدم حضارة من هذه الحضارات أكثر من ثلاثة قرون ، وهى لم تشع وتنتشر كما انتشرت الحضارة المصرية التى أعطت الكثير ولم تأخذ إلا القليل .

فالتربة المصرية حافظت لنا على تراث الحضارة الفرعونية ، كما حافظت على آثار هامة من العصر اليونانى الرومانى فى الأسكندرية وأقاليم مصر الوسطى . أما العصر القبطى أى العصر المسيحى المصرى وتراثه الروحى ، فقد عرف لنا بالآثار النفيسة التى خلفها ، وبما وصلنا من تراجم حياة القديسين مثل : انطونيوس وباخوم وغيرهما من نساك الأديرة فى صحارى مصر .

أما العصر العربى فقد امتاز بالبساطة فى مبدئه ، وبالترف والجاه فى ازدهاره .

الدولة القديمة

والآثار المنتشرة فى مصر والمحفوظة فى المتاحف شاهد واضح للدلالة على تطور المدنية فى هذه العصور الأربعة . والمتحف المصرى بالقاهرة هو أغنى هذه المتاحف وأهمها. وقد أمر الخديو اسماعيل ماريت باشا بإنشائه فى بولاق سنة ١٨٦٣ ثم نقل إلى مكانه الحالى فى عهد عباس الثانى سنة ١٩٠٢ وقد جمع بين جدرانه ماعثر عليه من حفائر مصلحة الآثار المصرية والبعثات العلمية الأجنبية والمصرية وفيه يجد الزائر العصور المختلفة ممثلة بآثار قيمة نادرة منذ عصر ما قبل التاريخ إلى العصر الرومانى .

ففى الطابق الأول عرضت آثار الأسرة الأولى، ونلفت الزائر إلى لوحة الملك نارمر من الحجر الاردواز ، تعبر عما بذل من مجهود فى توحيد السلطة فى مصر بالصور دون الكتابة (لوحة ٢) .

وفى الطابق الأسفل تعرض آثار العصر الفرعونى ونماذج المعمار للدولة القديمة والوسطى وبعض التماثيل للدولة الحديثة ، وهذه المعروضات نجدها فى صحن المتحف ، وإذا اتجهنا شمالا وجدنا نماذج كثيرة للتماثيل والشواهد .

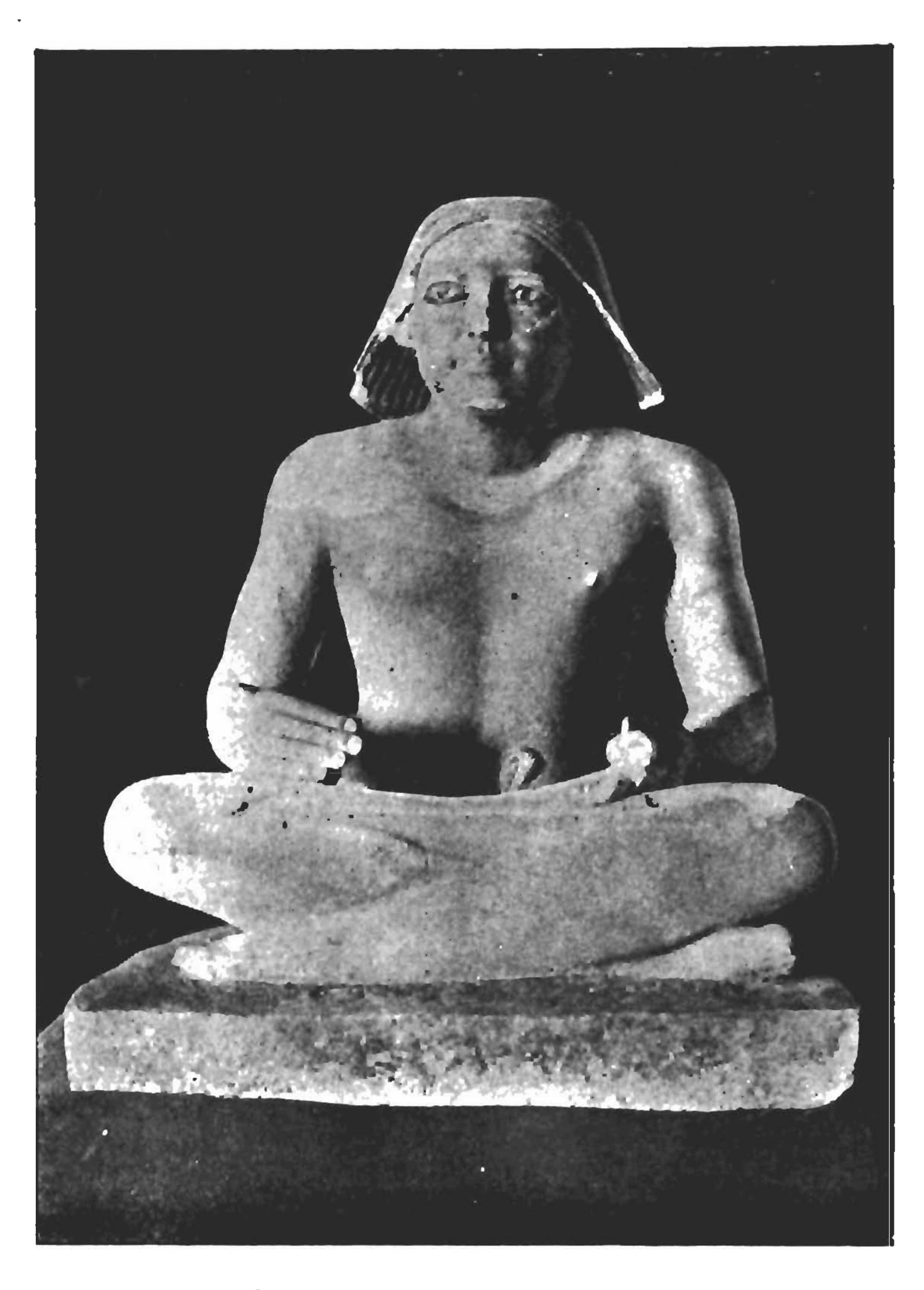
ولو لاحظنا النحت فى هذا العصر المسمى بالدولة القديمة لوجدناه يعبر تعبيراً واقعياً عن مظاهر الحياة المختلفة بالرغم من بعض الجمود التقليدى . وقد أمكن الفنان المصرى أن يعبر عن الملامح البارزة بالرغم من صلابة المادة مثل حجر الديوريت أو قابليتها للانكسار مثل المرمر والخشب . ويعجب الزائر لبداعة الصنع فى تمثال الملك خفرع بانى الهرم الثانى ، وقد وجده ماربيت فى عام ١٨٥٨ بمعبد أبى الهول .

بهذا التمثال أمكن الفنان أن يعبر عن الوقار الملكى لهذا الفرعون العظيم ببراعة فائقة . فالملك يجلس على عرش يرمز إلى اتحاد الوجهين القبلى والبحرى . ونشير على المتأمل أن يلاحظ التماثيل من الجنب ، فهو إذا تطلع إلى تمثال هذا الملك المصنوع من حجر الديوريت يعجب ببراعة الفنان الذى توصل إلى التعبير عن عظمة الجالس على العرش بالصقر المجنح خلف رأسه (لوحة ٣) .

وهناك تمثال من الخشب وجد فى سقارة ، وهو معروف بتمثال شيخ البلد ، تظهر فيه شخصية صاحبه (مدير أعمال فى منطقة الأهرام) ورغم نظراته الحادة والحزم الذى يتدفق منها ، فملامحه تدل على طيبة النفس وسلامة القلب (لوحة ٤) .

وقد نجح الفنان أيضاً فى تمثال الكاتب الجالس القرفصاء وبيده ورق البردى والقلم فى إظهار ابتسامة ملؤها السخرية بما يمليه عليه مقدم الشونة . وفى غرفة مجاورة نجد تمثالين بالألوان لرع حوتب وزوجته نفرت الجميلة بقوامها الممشوق ونظراتها الحسنة ، وهما ملونان ولون الرجل أسمر يميل للون الأحمر ، ولون المرأة أبيض مائلاً إلى الأصفر ، وقد اتبع فى هذا التلوين ما تقتضيه تقاليد الفن المصرى (لوحة ٦) .

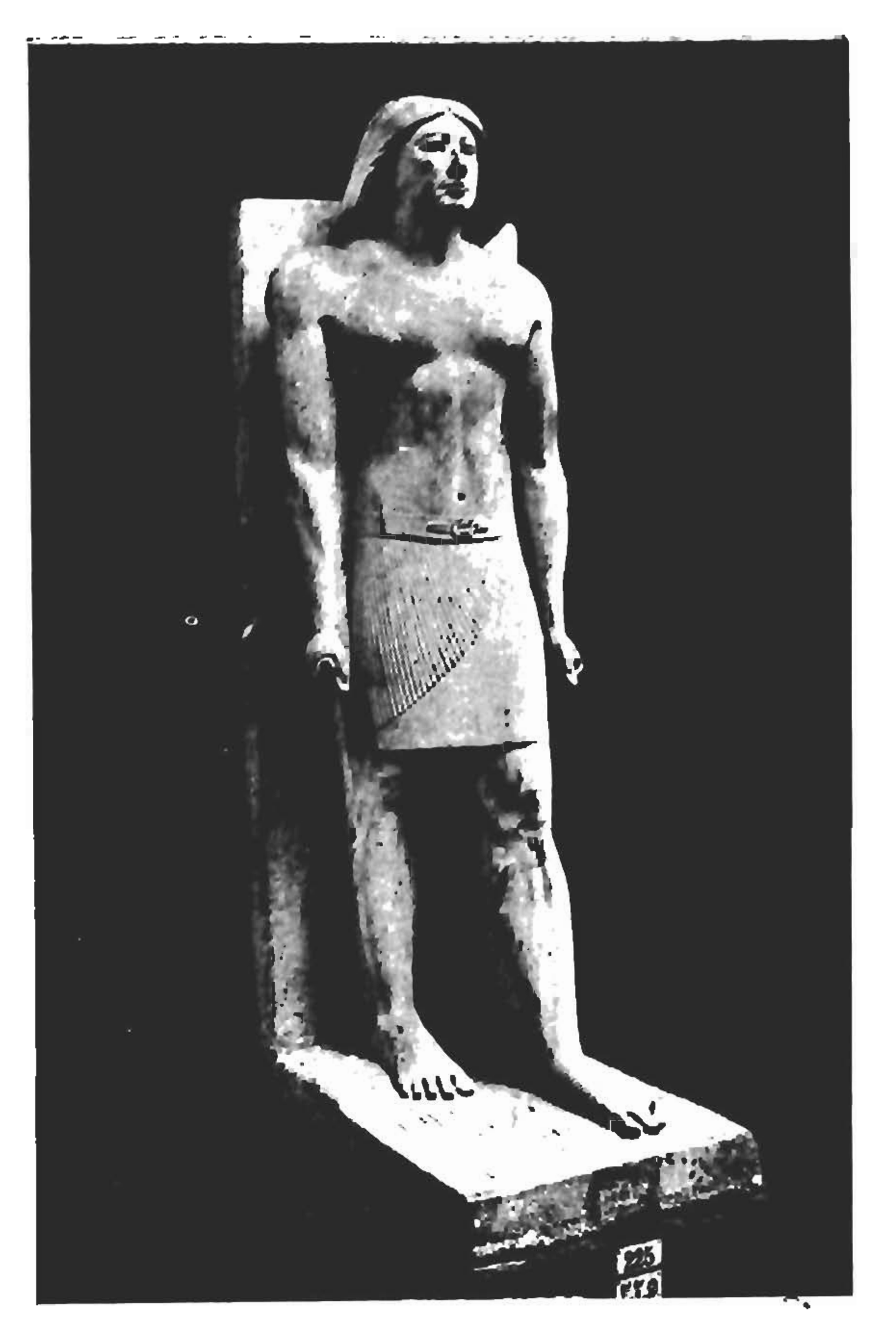
وإلى جانبهما تمثالان من الحجر الجيرى للكاهن الأعظم « رع نوفر » يمثله الأول وهو بملابسه



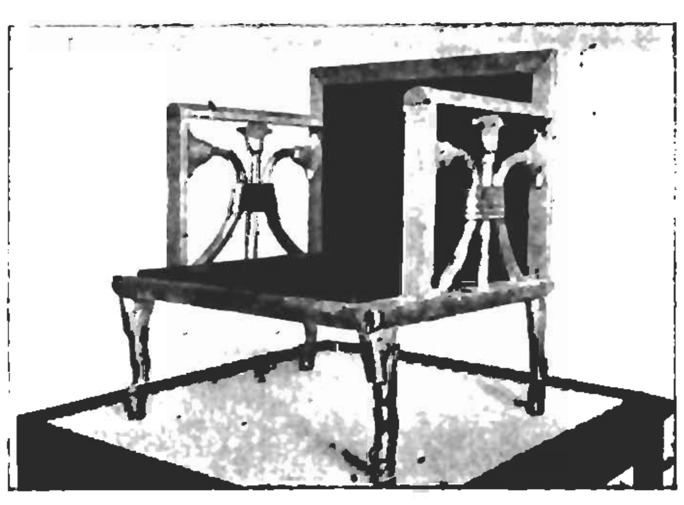
تمثال بديع من الحجر الجيرى الملون يمثل كاتبا متربعا ، وعلى ركبتيه ملف منشور من البردى



تمثالان عثر عليهما فى ميدوم ، أحدهما للأمير الملكى رع والآخر لزوجته نفرت.



تمثال جميل من الحجر الجيرى
للكاهن رع نفر



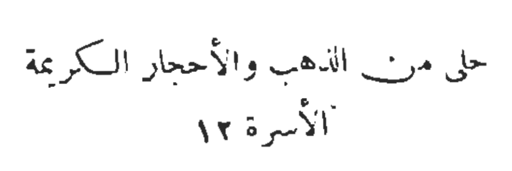
مقعد الملكة حتب حرس من الخشب المذهب
الجيزة ، الاسرة الرابعة



تمثال امنمحت الثالث من الحجر الجيرى
هواره — الأسرة الثانية عشرة







حلى من الذهب والأحجار الكريمة
الأسرة ١٢







المدنية ويمثله الآخر بملابسه الكهنوتية ، ولإظهار الأوضاع المختلفة اتخذ الفنان شكل التمثال الواقف تارة يتقدم إلى الأمام بقدمه اليسرى ، متمنطقاً بسروال و بيده عصا ومرة أخرى جالساً القرفصاء و بيده ورقة البردى . وقد حاول الفنان فى عهد الدولة القديمة أن يطرق باب التصوير بالألوان فترك لنا صورة ملونة على الجص معروفة باسم « بط ميدوم » ولم يهمل تمثيل أصحاب الحرف الصغيرة من الطهاة وصناع البيرة والخدم يحملون القرابين وغيرها من المناظر الكثيرة للحياة العامة والزراعة التى يجدها الزائر فى مقابر سقارة ، وفى مجموعها تدل على رشاقة الحركة والحياة .

لم يكتف فى عهد الدولة القديمة بنحت التماثيل من الأحجار والأخشاب ، بل تعداه الفن إلى صناعة التماثيل من البرونز ، فتمثال الملك ببى الأول الموجود بالمتحف المصرى يعد أحسن تمثال لهذا المجهود الجرىء .

إن صناعة التماثيل فى الدولة القديمة تمتاز بإتقانها فى التعبير الواقعى و باختيار أحسن المواد ، وهذا الامتياز يرجع إلى تبعية الفن والفنانين حينئذ للمصانع الملكية ، مما جعل هذا العصر أزهى عصور مصر القديمة ، وقدوة اقتدى بها الفنانون فى العصور التالية . وقد خطت الدولة القديمة فى صناعة الأثاث خطوات واسعة أيضاً، نجد منها نماذج فى الطابق الأول بالمتحف المصرى ، وهى للملكة حتب — حرس أم الملك خوفو ، وقد اكتشفها و باشر ترميمها العلامة ريزنر (لوحة ٧) .

الدولة الوسطى

قاد دفة الحكم فى الدولة الوسطى (من سنة ٢١٦٠ — إلى سنة ١٥٨٠ ق . م) ملوك مشرعون ومصلحون ، ولذلك نجد الفنان يحاول تصوير شخصياتهم فى شىء من الحزم والصلابة ، وهذه الملامح تدل على مابذلوه من جهد فى إرجاع النظام بعد عصر الفوضى الذى ساد فى آخر الدولة القديمة . نذكر على سبيل المثال : تمثال الملك امنحتب من الحجر الجرانيت وغيره من التماثيل التى عثر عليها فى إقليم الفيوم . وقد حافظ هذا العصر على تقاليد النحت المتبعة فى مدينة منفيس .

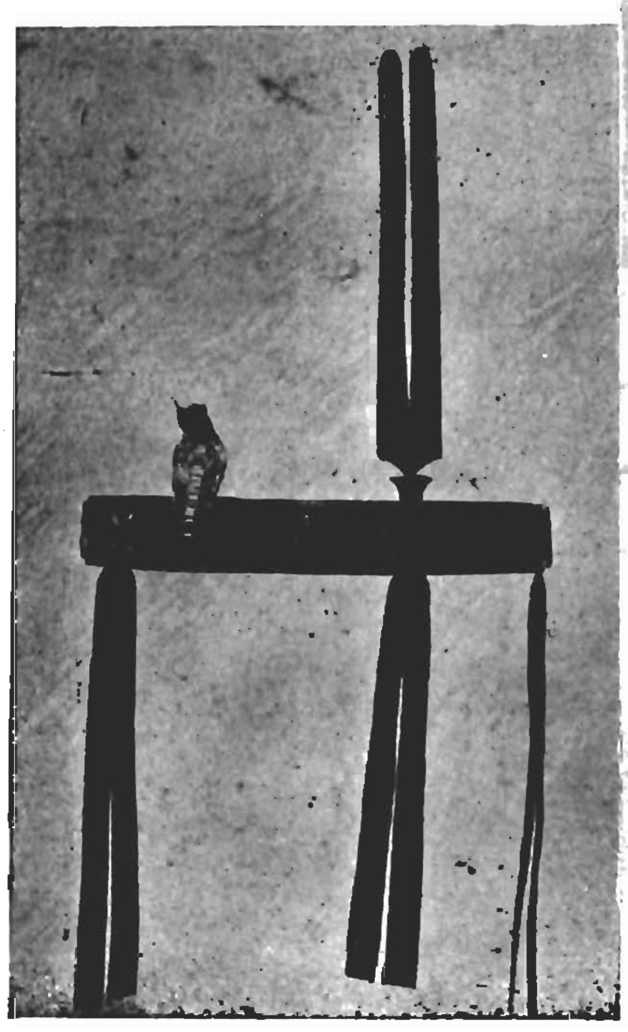
والحجرة التى تحوى مجموعة كبيرة مختلفة من الحلى الملكية فى الطابق الأول من المتحف المصرى (اكتشفها ديموجان فى دهشور) جديرة بالإعجاب . لذلك نوجه النظر إلى تماثيل سنوسرت وامنحتب الجميلة ، فإن أشكالها تقلد ناووساً من الذهب مطعماً بالأحجار الزاهية الألوان فى أعلاها عقاب مع حيوانات خرافية ترمز إلى إله الحرب يطارد العدو بقدميه . كما نوجه أيضاً النظر إلى تاجين من الذهب للملكة خنوم حتب ، أحدهما مكون من خيوط ذهبية رفيعة بها ستة صلبان على شكل الصليب المالطى وزهور صغيرة محمرة اللون لها فروع زرقاء . أما التاج الآخر فيتكون من دوائر على شكل الزهور وسيقان مطعمة بالأحجار الثمينة ، وكل هذه الحلى خفيفة الوزن تدل على براعة الصانع وذوقه الجميل فى الرسم وتوزيع الألوان (لوحة ٨) .

أما الناحية الأدبية فإن عصر الدولة الوسطى هو عصر الاستقرار والإصلاح وتطور الفكر المصرى . وقد ترك لنا من المطبوعات الأدبية الرائعة الكثير ، منها : قصة سنوحى وقصة الفريق وشكوى الفلاح وأغانى القيثارة الخ . . .

إن ماخلفته لنا الدولتان القديمة والوسطى من الآثار يحتوى على نماذج منسجمة لمبانى الهياكل والقبور والحصون . فنجد فى عصر الأسرة الثالثة فى سقارة نماذج للأعمدة تشبه الأعمدة الدورية اليونانية . أما استخدام الكورنيش وتيجان العمد المزينة بالزهور وفروع الأشجار التى يعلوها سقف ملون بالأزرق القاتم عليه نجوم ، فقد ظهر فى مصر ثم نقل إلى اليونان ، حيث أدخل على هندسة المعابد . أما الحصون فكانت منتشرة على حدود مصر ، وبالأخص على الحدود الجنوبية شمال وادى حلفا ، حيث نجد حصنى سمنة وقمنة قائمين إلى الآن يحيط بهما سور ضخم ، وقد كتبت على الصخر الذى يطل على النيل نقوش تدل على ارتفاعات النيل ومقياس الفيضان .

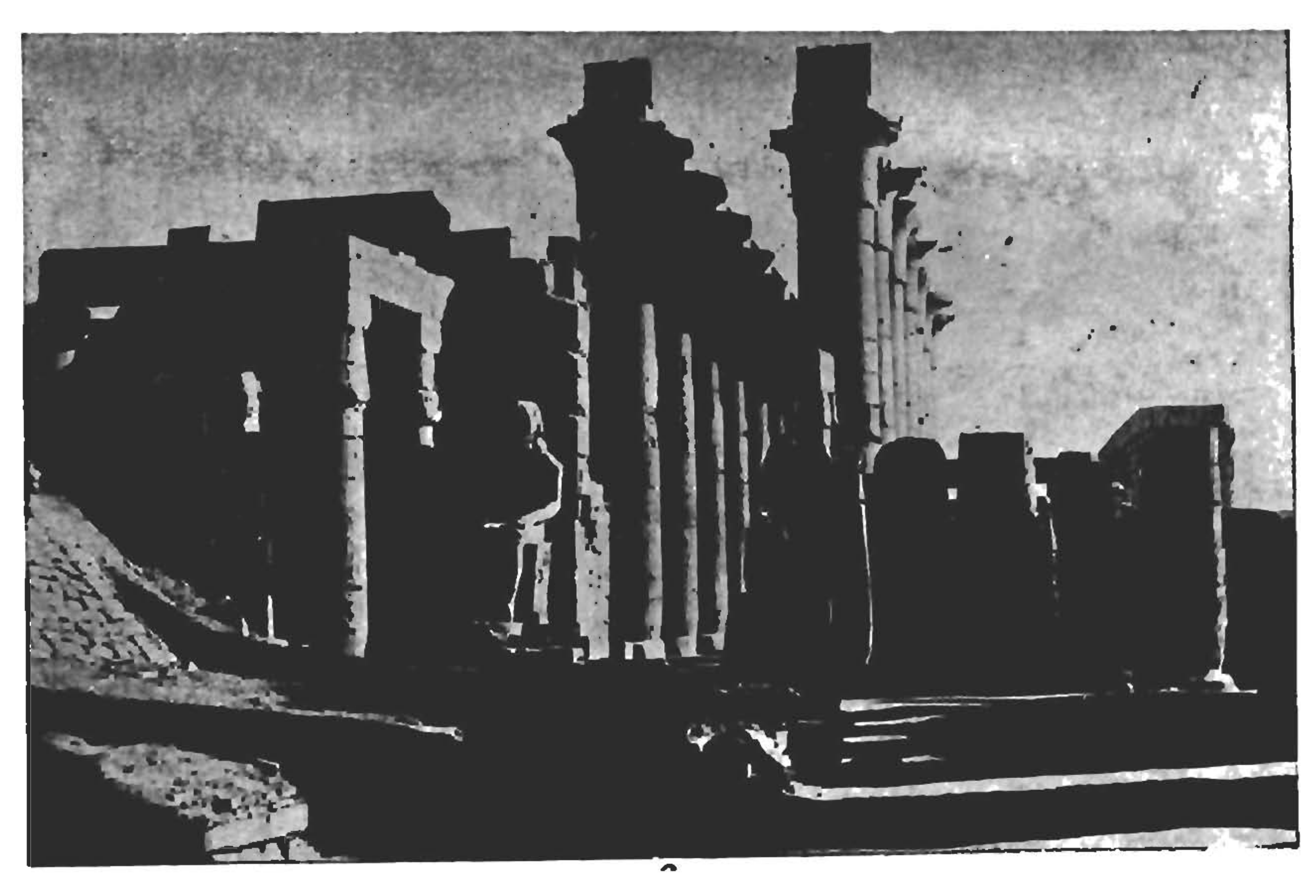
حاملة قرابين من الدولة الوسطى

تاج من الذهب — من الدولة الوسطى





طريق الكباش



معبد الأقصر

منظر عام لمعبد الأقصر

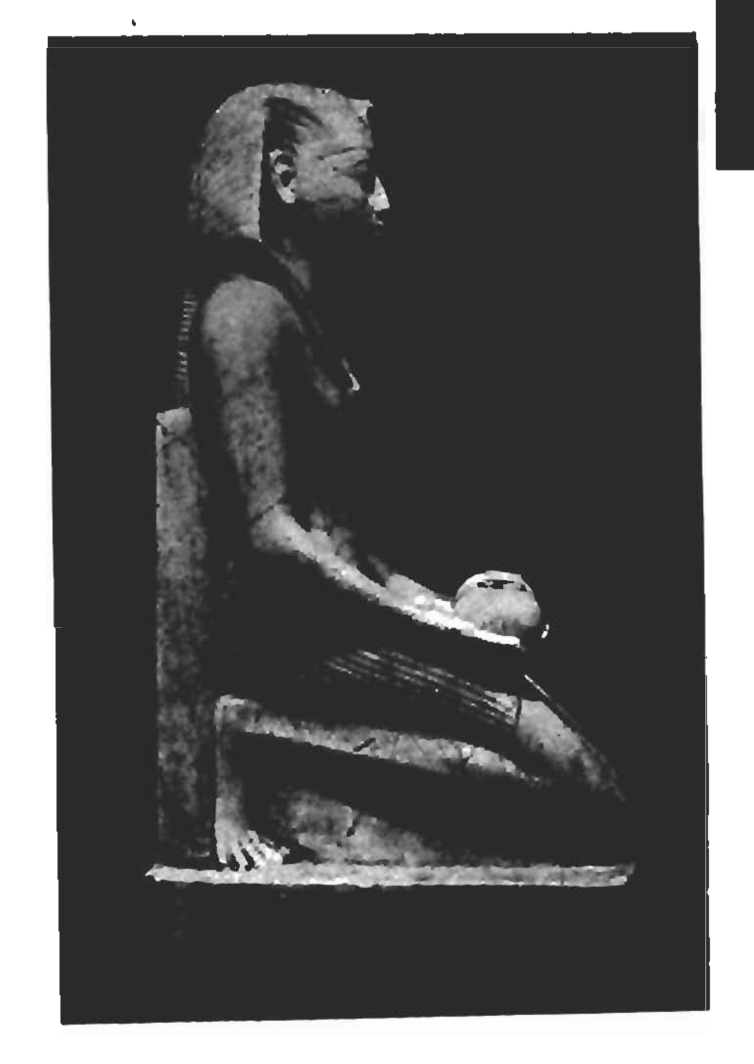




معبد الكرنك

.

القرنة — مقبرة رعموسى



تمثال جميل من الرخام الأبيض للملك تحتمس الثالث
جاثيا يتقدم وعاءين فيهما خمر أو ماء
دير المدينة ، الأسرة ١٨

الدولة الحديثة

فى عصر الدولة الحديثة اتسع أفق الفنان بحكم اتساع الدولة التى امتدت إلى آسيا الصغرى . وبحكم الاتصال بهذه الجهات وبجزر بحر إيجة . فمن ناحية المعمار كان الاتجاه نحو تشييد المبانى الضخمة الفسيحة الأرجاء . ومن النماذج المعتادة أن يتقدم المعبد ممر النصر ، على جانبيه تماثيل أبى الهول أو الكباش . وهـذا الممر ينتهى ببوابة كبيرة (بيلون) كما هو ظاهر فى معبد الأقصر أو الكرنك ، ثم يتلو ذلك قاعة كبرى بعمد كثيرة العدد ، تيجانها مقتبسة من النخل وزهرة اللوتس والبردى . وتنتهى هذه القاعة إلى قاعة أخرى ثم قدس الأقداس . وهنا تبعد بنا الشقة عما عهدناه فى معابد الدولة القديمة من البساطة التى خلت من تسجيل الوقائع على الجدران؛ فقد حرص ملوك الدولة الحديثة على تسجيل المواقع الحربية عليها ، كما سجلوا الأعمال المجيدة بكتابتها فوق واجهات المعابد وفى الفناء الخارجى منها .

وكذلك دونت الملكة حتشبسوت سيرة البعثات البحرية فى معبد الدير البحرى على الضفة الغربية من مدينة الأقصر .

وقد تحول وقار التعبير الذى نلاحظه فى تماثيل الدولة القديمة والوسطى إلى ملامح تعلوها ابتسامة . كما نلاحظ فى تمثال تحوتمس الثالث الموجود فى الطابق الأسفل من المتحف المصرى .

وتعتبر النقوش الملونة ومناظرها فى الضفتين الشرقية والغربية بمدينة الاقصر مثلا صادقاً على ما وصل إليه الفن فى الدولة الحديثة . فإن طريقة عرض الأشخاص فى النقوش صورت تصويراً حسناً . وقواعد المنظور بدأت تشغل الفنان . وفى لوحة واحدة رتب الفنان مناظر كثيرة وحوادث غنية بأوصافها . ومن جهة أخرى يجب التنويه بذلك الانقلاب الفنى الذى ظهر فى عصر امنوفيس الرابع (أخناتون) فقد دونت الأعياد وحفلات البلاط ومناظر الحياة الخاصة بلباقة ومعرفة لم نعهدها من قبل .

و فى هذا العصر الملىء بالمفاجآت نجد رجال البلاط وكبار الموظفين يلثمون يد الملك ، وهو تطور كبير حيث كانت التحية تؤدى بتقبيل الأرض .

أما فى الحرف الصغيرة : فقد امتازت الدولة الحديثة بالمغالاة فى الألوان وكثرة النقوش الزخرفية الواضح فيها تأثير بلاد الشرق . ولكن الفنان كان دائماً حريصاً على قواعد الذوق السليم، وإن اكتشاف كارتر لمقبرة توت عنخ آمون المعروضة بالطابق الأول فى المتحف المصرى لهو أكبر دليل على ما ذكرناه .

كما أن التابوت الذهبى الذى كان يرقد فيه الملك المذكور ، والذى يزن ٤٠٠ كيلو جرام ، يعد من تحف العالم الفاخرة . والقناع الذهبى ومجموعة الحلى الرائعة من خناجر وعقود وخواتم والصناديق المطعمة والملونة ، تدعو إلى الإعجاب بدقة صنعها ورشاقة مناظرها . ونخص بالذكر : كرسى العرش و بعض المقاعد المطعمة .

ولدينا فى الطابق الأول بجوار قاعة الملكة (حتب — حرس) مجموعة قيمة من الحلى والأوانى والكؤوس من الذهب والفضة ، عثر عليها المسيو مونتيه الأستاذ بجامعة استراسبورج فى كشفه صان الحجر (تانيس) حيث يعمل هناك منذ سنة ١٩٢٩

إن تراث مصر الفرعونية لم يجمعه المتحف المصرى بين جدرانه فحسب ، بل يشمل المبانى المشيدة المنتشرة فى صعيد مصر . ويمكن الزائر أن يشاهد الآن مجموعة كبيرة من المعابد والمقابر بمدينة الاقصر بالرغم من التخريب الذى حل بها منذ الفتح الأشورى لمصر عام ٦٦٣ ق . م . وتحوى هذه المجموعة آثاراً من عصور تمتد ما بين القرنين السادس عشر والثالث عشر قبل الميلاد . ولقد ساهم المصريون بقسط وافر فى الأبحاث الأثرية منذ أن خطا بها إلى الأمام المغفور له الخديو اسماعيل الذى كان أول من حمى الآثار القديمة . ويرجع الفضل إلى المغفور له الملك فؤاد الأول فى إرسال بعثات من المصريين إلى أوروبا ، ليدرسوا علوم الآثار بما عرف عنه رحمه الله من رعاية الأثريين والاهتمام بهم. وقد حذت وزارة المعارف حذو العاهل العظيم ، فتوسعت فى إرسال البعثات



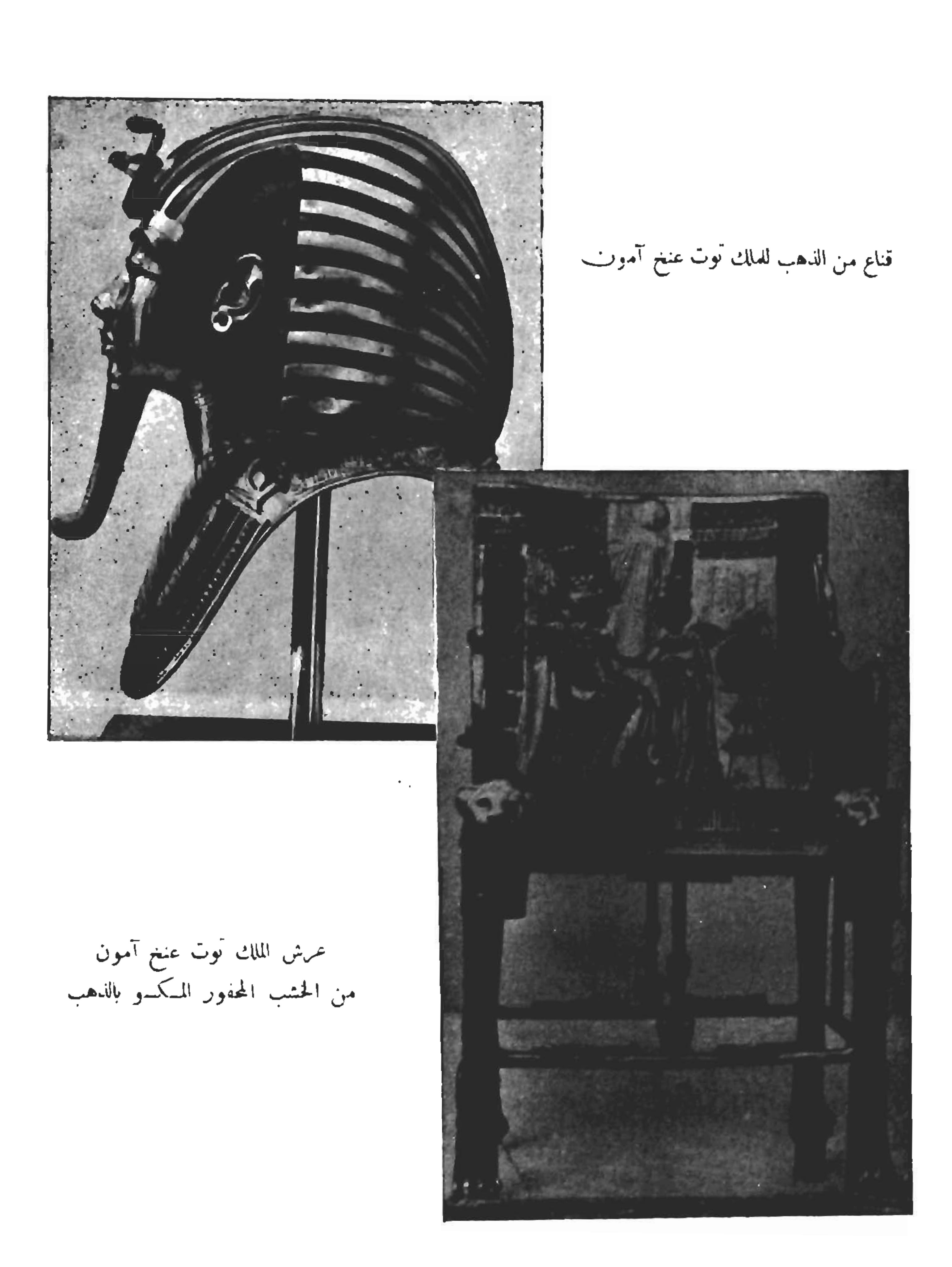
القرنة — مقبرة رعموسى



تمثال امنوفيس الرابع (أخناتون)



توت عنخ آمون — التابوت الداخلى من الذهب الخالص



قناع من الذهب للملك توت عنخ آمون

عرش الملك توت عنخ آمون
من الخشب المحفور المكسو بالذهب

من المصريين . وأمكن إنشاء معهد دراسة آثار مصر القديمة التابع لكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول .

~~وجلالة الملك فاروق الأول حفظه الله~~ يدطولى على المصريين فى تشجيع القيام بأعمال الحفر والتنقيب عن الآثار فى عصور مصر المختلفة ، لما جبل عليه جلالته من حب لمصر الفرعونية وتاريخها وآثارها .

وتقوم المعاهد المصرية المختلفة إلى جانب المعاهد الأجنبية بأعمال الحفر والتنقيب ونشر التقارير والأبحاث العلمية ، كما تقوم مصلحة الآثار المصرية بترميم الآثار والمحافظة عليها . وقد اشترك كثير من المصريين فى هذه الأعمال منذ عهد ماريت وماسبيرو ، ونخص بالذكر منهم مرقص كابس واحمد باشا كمال .

وقد بدأ المصريون فى معهد الآثار المصرية بجامعة فؤاد الأول بأعمال التنقيب فى الجيزة بإشراف سليم بك حسن ثم الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، وقد كشفت هذه الحفائر عن قطع فنية جميلة من عصر الدولة القديمة والعصر اليونانى الرومانى القديم .

أما فى مصر الوسطى فإن جامعة فؤاد الأول قد وجهت إليها عناية خاصة ، حيث بدأت أعمال الحفر منذ سنة ١٩٣١ فى القسم الغربى من مدينة هرمو بوليس العظمى على حدود الصحراء الليبية المعروفة الآن بتونا الجبل .

يشرف على هذه الحفائر الأستاذ الدكتور سامى جبره يعاونه مساعدون من المصريين من خريجى المعهد وغيرهم و بعض الأجانب فيما يخص العصر اليونانى . وقد أظهر لنا هذا الكشف نتائج تاريخية قيمة عن فترة الانتقال من العصر المصرى إلى العصر الهلينى ، حيث تقابلت المدنيتان المصرية واليونانية . فالمدنية المصرية كانت تحتضر ، ولكنها بقيت محافظة على طابعها ومكانتها بين أمم الشرق القديم ، إلى جانب المدنية اليونانية الفتية .

يدل هذا الكشف على التردد والقلق الذى يساور النفوس فى كل العصور عندما يؤذن عصر حضارة بالضعف لتحل محلها حضارة أخرى . وقد أمكن الكشف فى الخمس عشرة سنة الأخيرة

عن مدينة كاملة بمعابدها الجنائزية ومنازلها الملونة وميادينها الفسيحة ودروبها الضيقة . وقد كشفت لنا هذه الأعمال عن عصر كان غامضاً فى تاريخ مصر القديمة .

إن زيارة آثار تونا الجبل لتدعو إلى العجب ، فهى مدينة مطمورة تحت الأرض تمتد مساحتها إلى أكثر من خمسة وعشرين فداناً . بها سراديب سفلى وشوارع طويلة متشعبة وحجر خصصت لعبادة إله توت مخترع الكتابة والعلوم والسحر . ولايزال هناك حول معبد توت سور كبير من الحجر الجيرى يحيط بمنطقة واسعة ، كان يجتمع فيه الحجاج من كل أطراف مصر يحملون معهم القرابين من تماثيل وأوانى خزفية إلى هذا الإله المحبوب . وقد أمكن المشرف على هذه الحفائر أن ينشىء هناك متحفين ، أحدهما فى أحد السراديب القديمة والآخر على سطح الأرض .

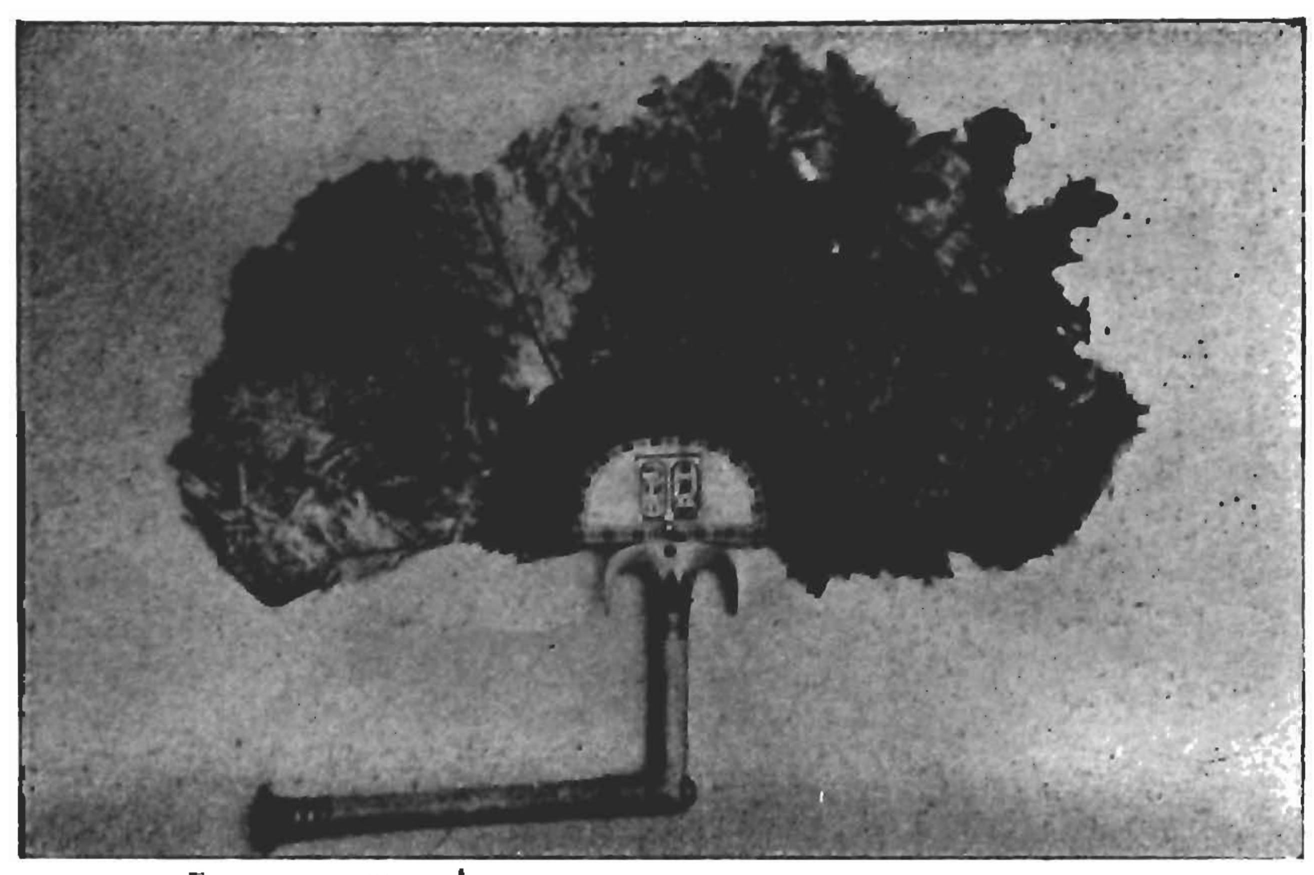
ونضيف إلى ماتقدم بعض أعمال التنقيب التى يشرف عليها بعض العلماء المصريين مثل حفائر العصر الحجرى بالقرب من المعادى ، ويديرها الأستاذ مصطفى بك عامر الذى قدم نشرة أبحاث عن هذه المنطقة ، أتى فيها بمعلومات قيمة عن حضارة الشمال فى عصر ندرت معلوماته .

وهناك حفائر جلالة الملك فاروق الأول فى حلوان ، ويشرف عليها الأستاذ زكى سعد ، وقد كشف هناك عن أربعة آلاف مقبرة من العصر الطينى فى حدود مدينة هليوبوليس القديمة وقد قام الأستاذ المذكور بأعمال أخرى بمنطقة سقارة ، وكشف هناك عن طريق يؤدى إلى مقبرة الملك أوناس بالأسرة السادسة .

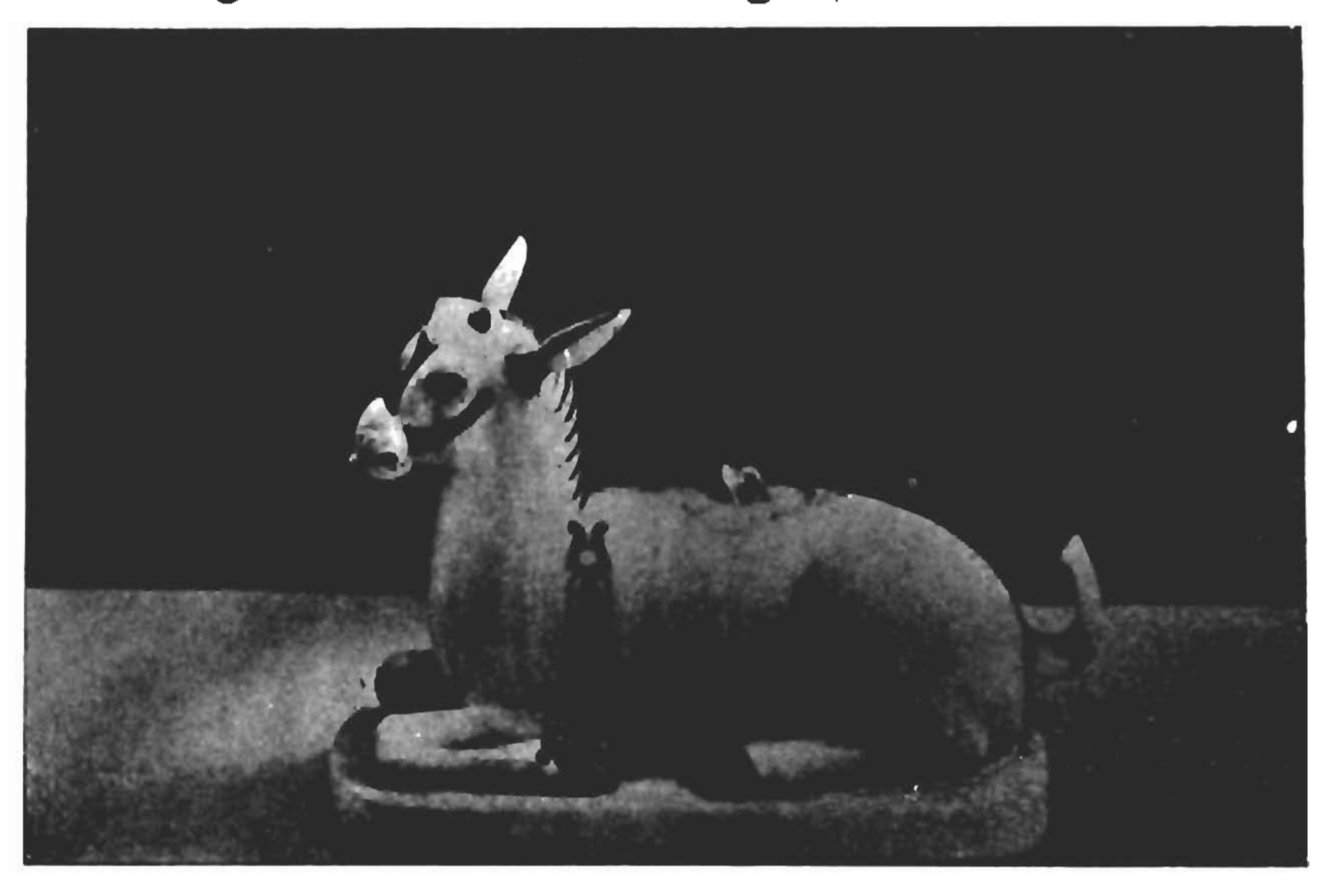
وهناك حفائر أخرى للأستاذ الدكتور احمد بدوى بجامعة فؤاد الأول فى منطقة ميت رهينة بمديرية الجيزة ، أدى كشفها عن معلومات قيمة للأسرة الثانية والعشرين فى عهد الملك شوشنق وعثر فيها على لوحة تاريخية هامة لأمونوفيس الثانى (الأسرة الثامنة عشرة) .

هذا بخلاف أعمال التنقيب والترميم التى يشرف عليها موظفو المتحف المصرى ، ونخص بالذكر منهم : محمود حمزة بك ، وحفائر بلدة قمطير بالدلتا .

أما الأستاذ عبد السلام حسين المهندس فقد كشف عن معبد استقبال الملك أوناس ومدخل هرم الشواف وهو لملك حكم قبل الملك أوناس .



مروحة بديعة من ريش النعام والعاج ، منقوش على مقبضها أسماء الملك توت عنخ آمون



قاعدة من المرمر على شكل وعل

من مقبرة توت عنخ آمون



صندوق فاخر من الخشب ، مزين بصور صغيرة ملونة (من مقبرة توت عنخ آمون)



اناء اسطوانى للعطر من المرمر
من مقبرة توت عنخ آمون

وكشف الأستاذ عثمان رستم كبير مهندسى مصلحة الآثار عن معالم البزليك الرومانية فى مدينة هرموبوليس العظمى ، وهى من أجمل ماخلفه العهد الرومانى الكلاسيكى فى الأقاليم الوسطى . وقد كان يشرف على أعمال الحفر فى هذه المنطقة الأستاذ محرم كمال ، الأمين بالمتحف المصرى ، ويقوم بأعمال الترميم المسيو باريز .

قام الأستاذ أحمد فخرى بأعمال التنقيب فى مقابر واحة سيوة والبحرية والخارجة واكتشف أماكن التعدين للأحجار الكريمة فى جنوبى أسوان .

واكتشف الأستاذ لبيب حبشى فى جزيرة الفيلة فناء لمعبد به مجموعة قيمة من تماثيل الأمراء .

وقام الدكتور أبو النجا عبد الله مدير الأعمال بمعبد الكرنك بترميم بوابة الملوك البويطين وبترميم عمد صالة الكرنك الكبرى .

وقد كانت مصر فى جميع العصور قبلة السائحين من كتاب وفلاسفة وشعراء ومؤرخين يتشوقون للاطلاع على أسرار مدنيتها والاستمتاع بجوها الصحو الصافى . ولم يتردد اليونان والرومان فى احتمال متاعب السفر إليها فى عصرهم ، بل أحبوا أن يشاهدوا عظمة مبانيها وجمالها الساحر ، وحسبنا ما ترك حكاتيوس وهيرودتس المؤرخ وتيودور الصقلى واسترابو وبلوتارخ وغيرهم من مؤلفات قيمة دونوا فيها إعجابهم وتقديرهم لمصر . وكانت هناك مدن للترفيه فى مناطق الدلتا وبالقرب من مدينة الأسكندرية كأنوب ونوكراتيس ، حيث كان يفد إليها الزائرون من جميع أنحاء العالم ليهونوا على أنفسهم متاعب الحياة .

أما فى العصر الرومانى ، حيث ساد السلام مدة ثلاثة قرون ، فقد كان موسم السياحة عامراً وكان من السهل الوصول إلى مصر عن طريق البحر . ومن كان منهم على غير عجلة كان يفضل طريق قرطجنة براً . وكانوا يستعملون المراكب النيلية للوصول إلى أقاليم مصر العليا حتى حدودها الجنوبية . وفى نهاية السياحة النيلية كانوا يستعملون العربات أو يمتطون ظهور الحمير . وكانت قفط ملتقى طرق موانئ البحر الأحمر .

وذكر ارستيد من أزمير فى هذا الصدد عند مدحه للحكومة القيصرية :

« لقد خلعت عن العالم رداءه الحديدى العتيق وأعطيت الفرصة لكل فرد أن يشاهد بعينه جميع الأشياء فلا يخشى أحد ثغور كيليكية ولا مضايق بلاد العرب ومصر أو صحاريهما » .

وكانت الأسكندرية ملتقى طلاب العلم فى فروعه المختلفة وكانت لها شهرة عالمية ، كما ذكر لنا استرابون ، وإلى جانب السياح كانت مصر مقصد طلاب اللهو والملذات ، كما كانت مقصد المرضى يؤمونها للاستشفاء خصوصاً فى الشتاء حيث تتفتح الزهور ، ولا يمر يوم بدون أشعة الشمس . وكان النساء يزرن معابد الآلهة إيزيس حيث انتشرت عبادتها فى الدولة الرومانية ، وكن يحرصن عند رجوعهن إلى أوطانهن على أن يحملن معهن ماء النيل لإتمام مراسيم أعياد هذه الآلهة فى بلادهن . وقد استمرت حركة السياح وحب التنقل فى القرون الوسطى حتى بعثة نابليون . ويمكننا الإشارة هنا إلى بعض أسماء الزائرين وهم :

جرفن أفجارت — بيير بلون — الأب فانسليب — يونج — شامبليون — كادلفن

Greffin Affgart, Pierre Bellan, père Vausleb, Young, Champollion, Cadalveue

وقد تحدث الأخير فى رحلته عن سراديب تونا الجبل وشوارعها الطويلة .

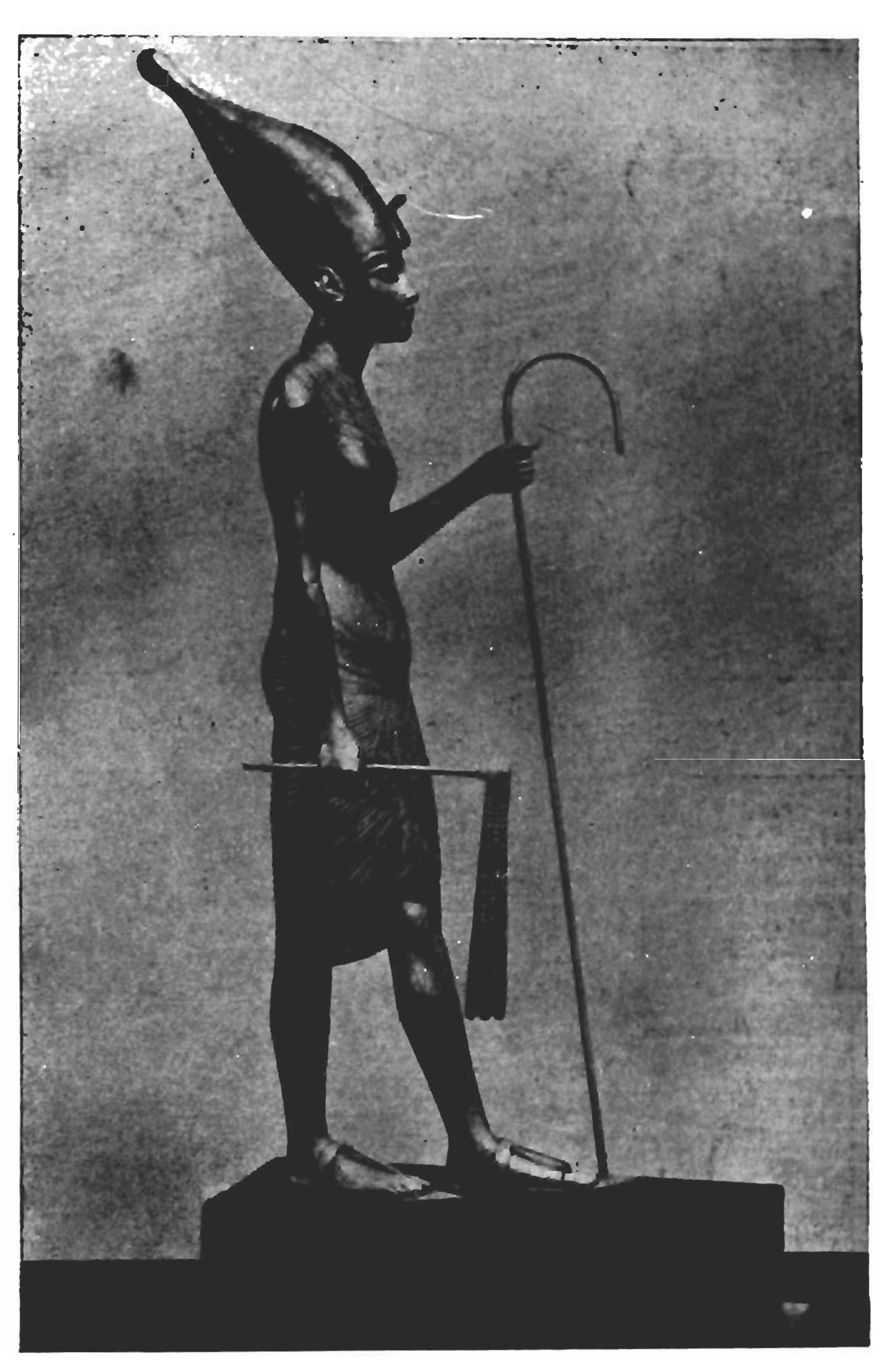
إن مصر فى عهدها الحاضر تعد ملتقى الزائرين من جميع الأقطار الذين يفدون عليها عن طريق البر والبحر والجو ، حيث يجدون فيها فنادق موفرة بها أسباب الراحة ومسارح للتمثيل كالأوبرا وغيرها من الأماكن التى يكثر وجودها فى عاصمة البلاد المصرية . ودور التمثيل فى مصر تفتح أبوابها لكبار الممثلين الأجانب ، وكذلك يجد الزائرون دور التمثيل والسينما المصرية فينعمون بين آثار الغابر وبهجة الحاضر بالمتعة والصحة والرخاء .

وإن مصر وعلى رأسها جلالة الملك فاروق الأول لترحب بالعلم والعلماء والعاملين لخير الإنسانية وتفتح لهم أبوابها وآثارها ومتاحفها وكنوزها وسائر مباهجها ، ليستزيدوا من العلم بأسرارها وأخبارها ويمتعوا بجمالها وسحرها وينعموا بموفور خيرها .



أربعة رؤوس من المرمر بديعة الصنع ، تمثل الملك توت عنخ آمون

مروحة للحفلات لها مقبض طويل مكسو بالذهب — من مقبرة توت عنخ آمون

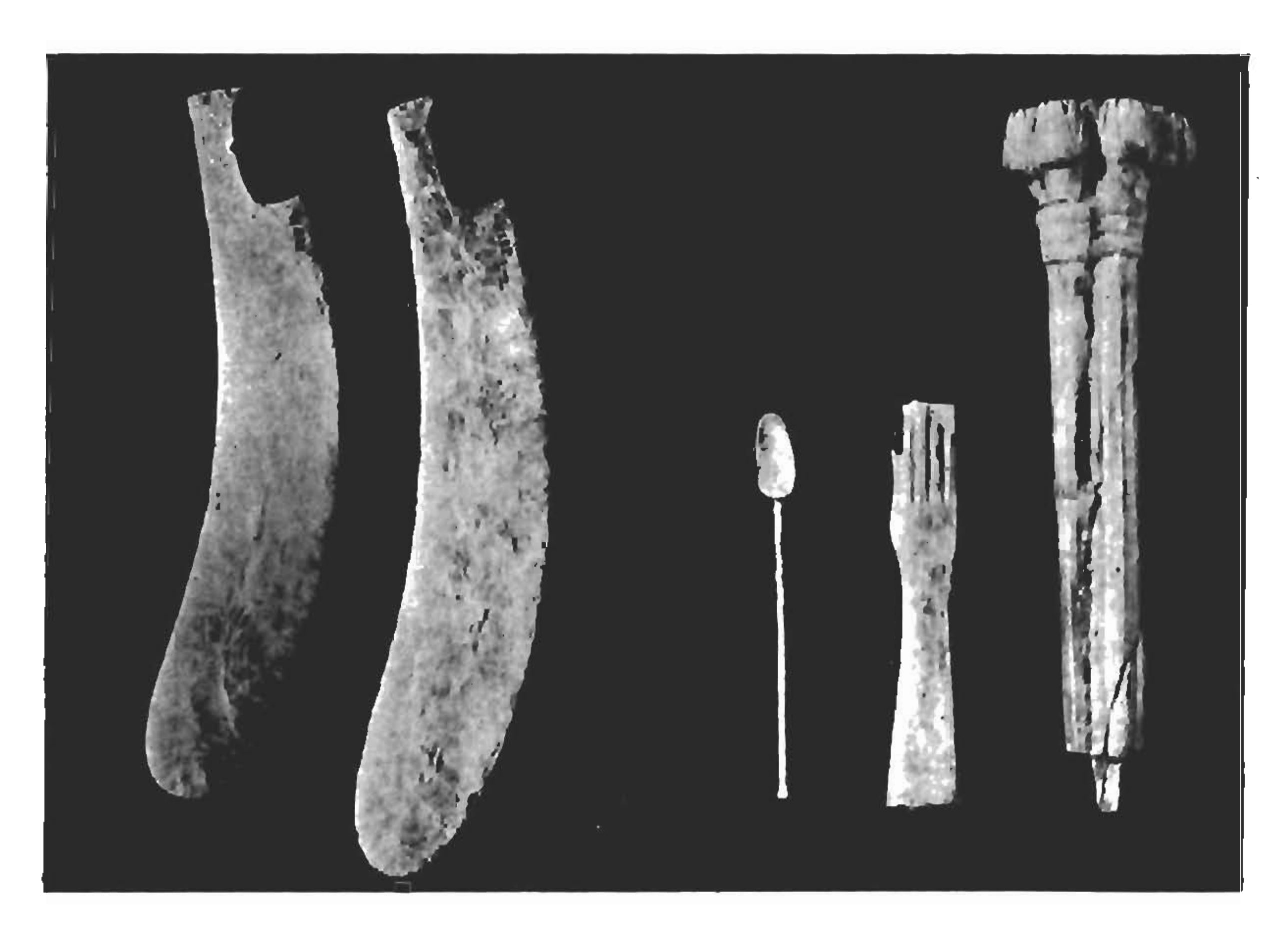


تمثال للملك توت عنخ آمون متوج بتاج الوجه القبلى الأبيض



إناء من المرمر بديع الصنع ، محلى بالذهب والعاج ويعلوه عقاب
(من مقبرة توت عنخ آمون)



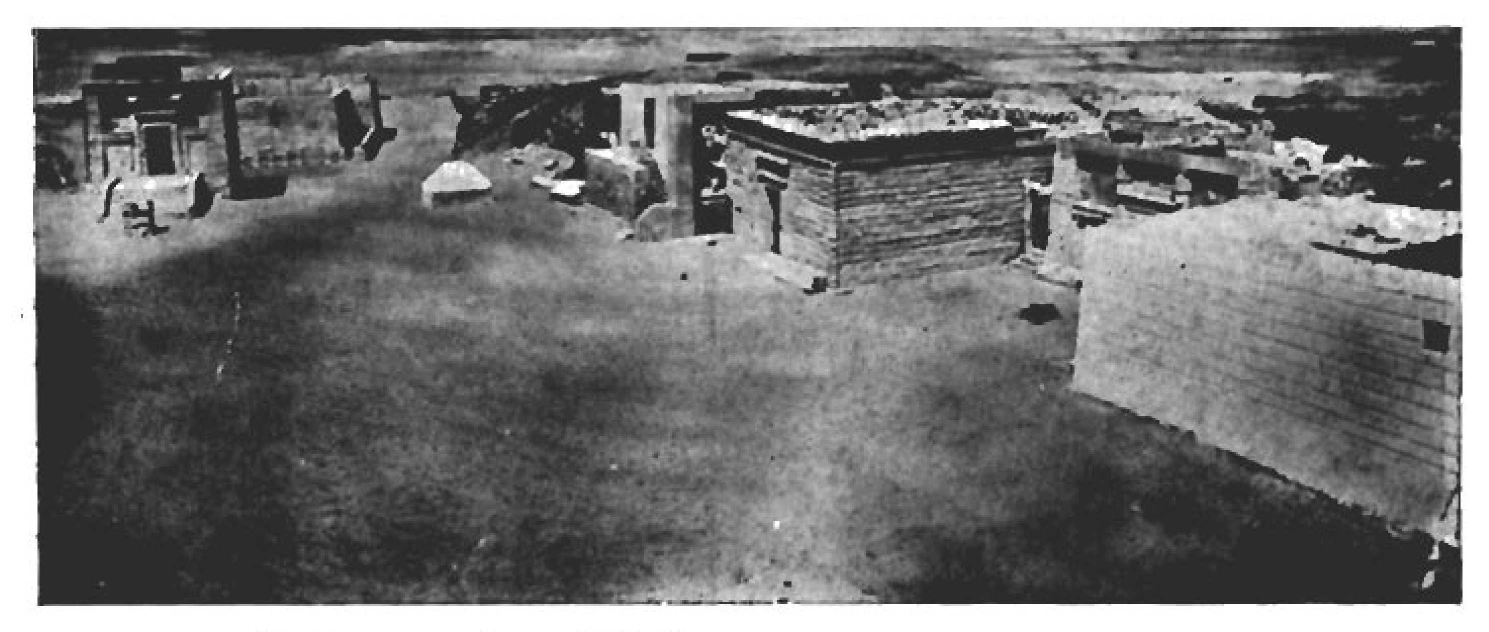




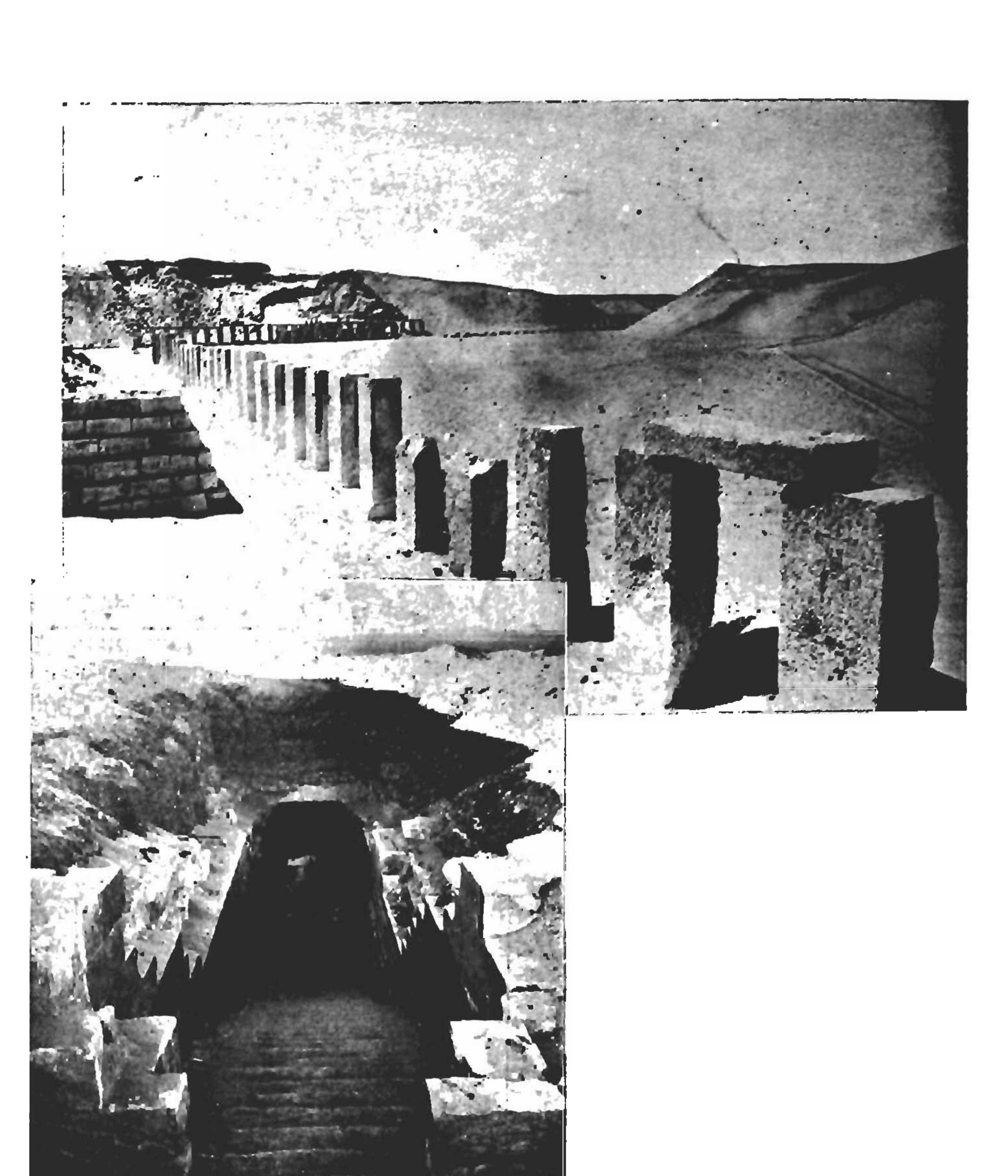
من حفائر الدكتور عبد المنعم أبو بكر بأشمونين

تمثال جميل من الحجر الجيرى الأبيض لمصرى يلبس ملابس يونانية عثر عليه فى منطقة حفائر الاشمونية عام ١٩٤٦

مدخل دهليز تحت الأرض مع مكتب المحفوظات والمعبد بمنطقة تونة الجبل



حي يضم معابد ومنازل بها رسوم — من حفائر الدكتور سامى جبره بتونة الجبل
(من عام ٣٠٠ ق . م . إلى ٢٥٠ بعد الميلاد)



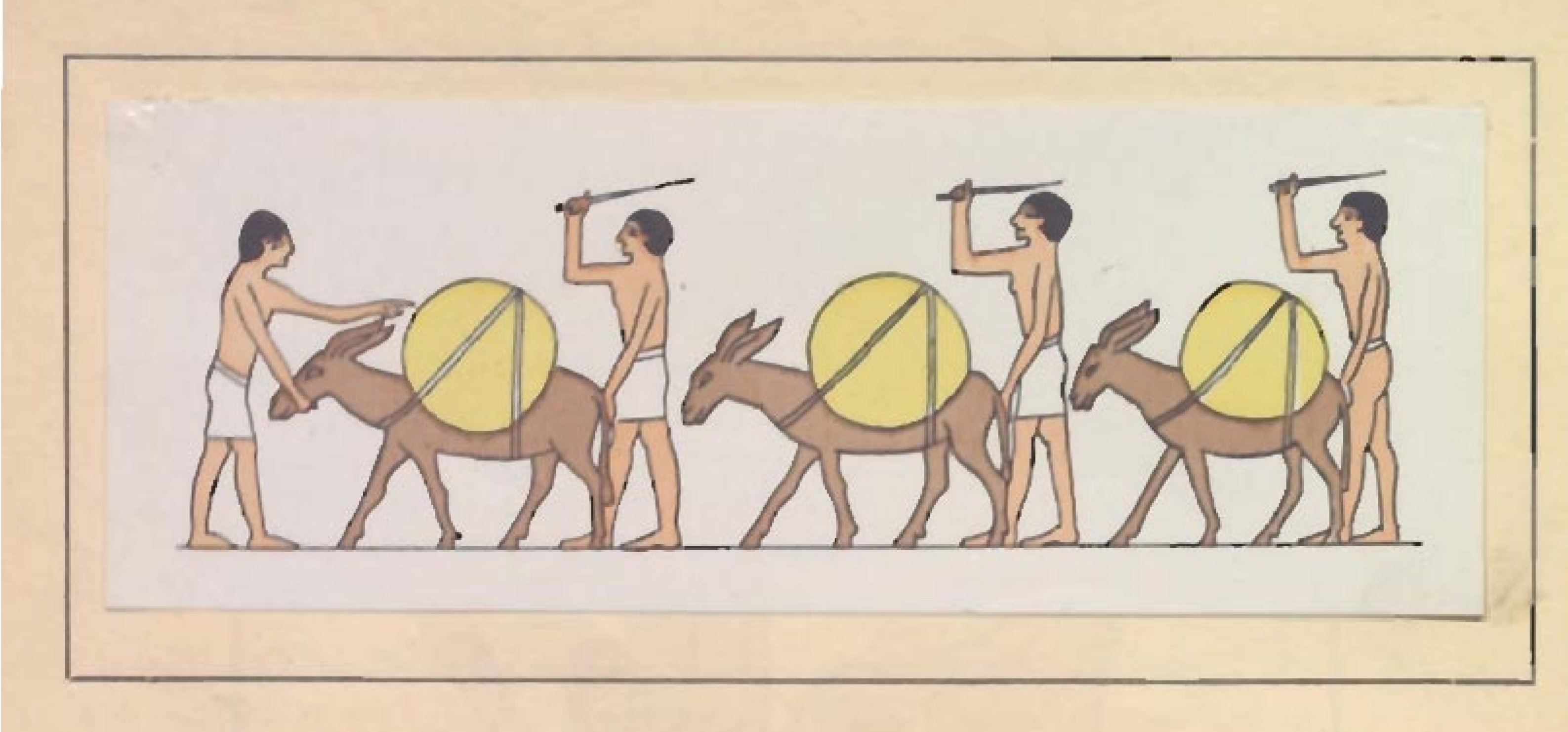
مدينة هرموبليس من حفائر الأستاذ محرم كمال
(الأشمونين)



تمثال من البرنز لكاهن من سكان الدلتا
يتعبد أمام الايبس رمز الآله توت

مجموعة الآثار التى كشفت فى قبر الأمير شيشنق
ولى عهد المملكة المصرية

نقوش من الآثار الفرعونية



كان الحمار من وسائل المواصلات فى مصر الفرعونية ، كما هو الحال فى مصر الحديثة ، بل كان الوسيلة الوحيدة قبل ظهور الجمال فى العهد الرومانى

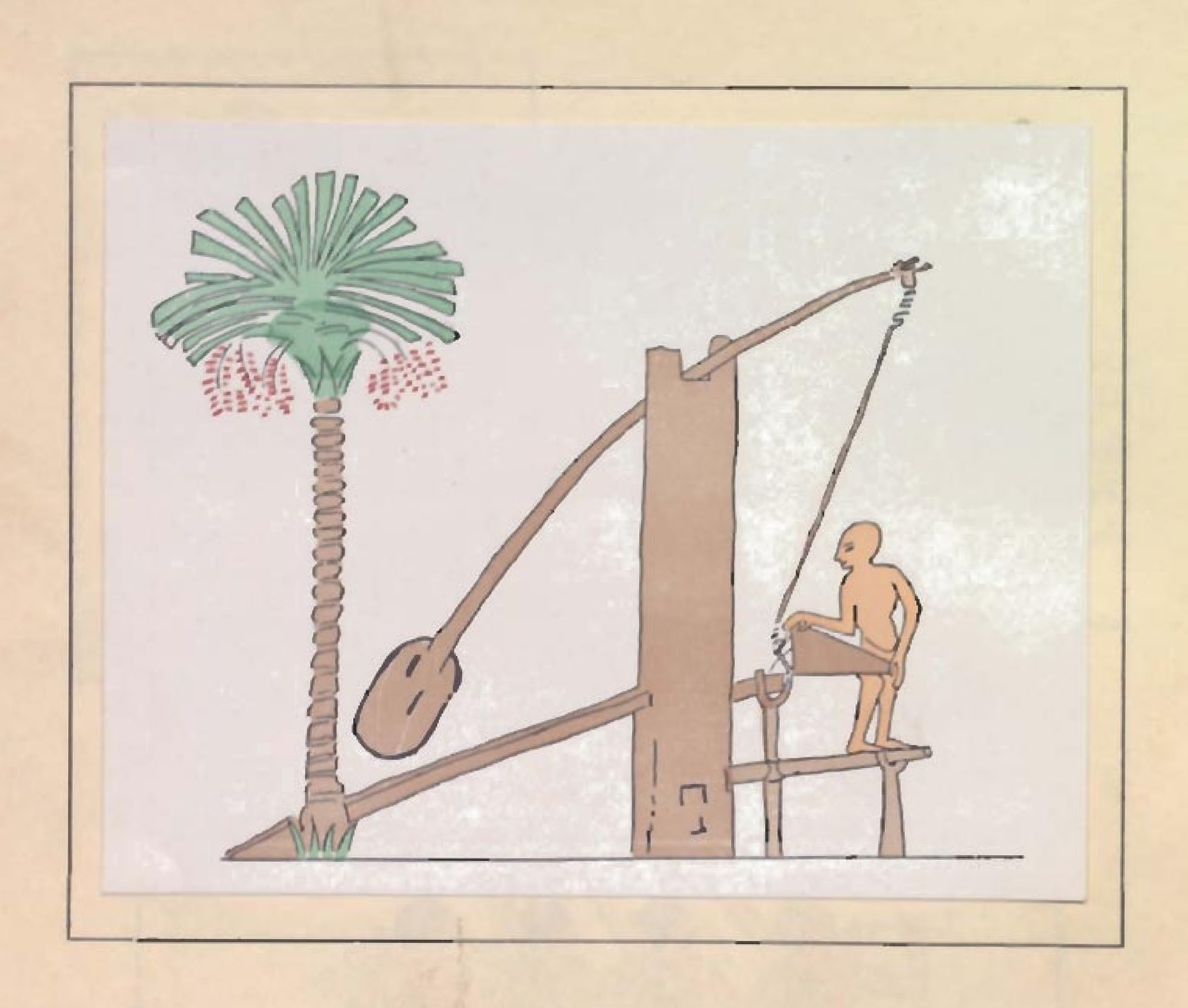
حمل الحيوان المسكين على ظهره أثقل الأحمال ومضى بها فى دروب الصحراء ومسالك وادى النيل آلاف السنين .

وها هو يظهر فى الصورة مثقلا بعبثه راضياً كعهدنا به بما قسم له .



من الخطأ البين أن يتصور المرء أن المصريين القدماء لم يحفلوا بالعناية بأجسامهم . فني مدافن الدولة القديمة المعاصرة لبناء الأهرام عثر على نقوش بارزة تمثل محترفي تجميل الأقدام (Pedicrue) يقومون بعملهم .

أنظر إلى الزبون في الصورة وهو يرجو العامل – طبقاً لما هو مدون بالهيروغليفية – أن لا يوخز قدمه . تماماً كما نفعل نحن في عصرنا الحاضر .



على غرار تقاليد الريف العتيقة ، يرجع استخدام الشادوف
إلى عصر الفراعنة ، ولولا اختلاف الثوب لما وجد فرق بين
فلاح اليوم وبين هذا الذى نراه على لوحة زيتية من عصر طيبة ،
وهو يستخدم نفس الشادوف الذى لا يتكلف صنعه إلا القليل ،
لرفع مياه النيل المباركة .

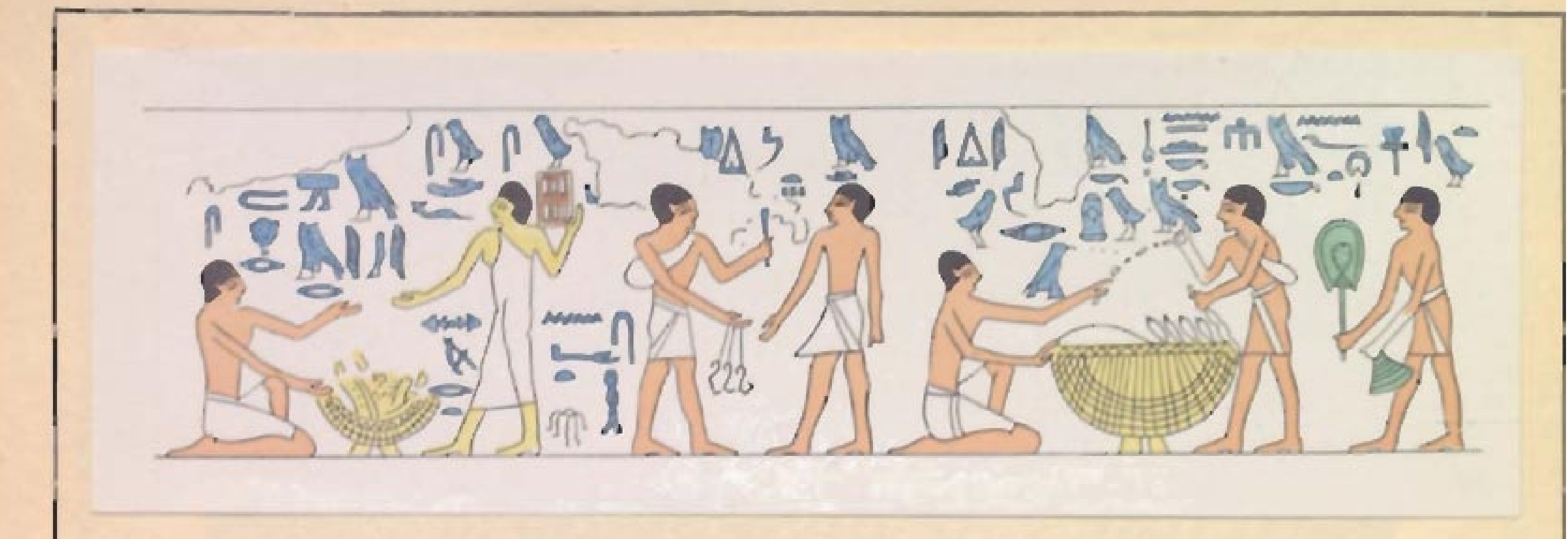


إن هذه الآلهة القابعة ملفوفة فى عباءتها وعلى رأسها ريشة النعام الطويلة رمزاً لإسمها هى « مات » العظيمة إلهة العدالة الابنة المعززة للشمس المقدسة ، ويقول تيودور الصقلى : إن رؤساء المحاكم فى مصر القديمة كانوا يعلقون ذلك التمثال المقدس على صدورهم بشريط ملفوف حول العنق .

ولا شك أن الصورة المرسومة هنا تمثل قلادة استعملت لذلك الغرض .



على صوت الأبواق كان موكب الرماة المصريين يسير فى شوارع طيبة حاملا رمز ملكتهم حتشبسوت ، ولم يكن مظهر هؤلاء الجنود الحربى مجرد ادعاء ، ولكنهم كانوا يختالون باسم الامبراطورية التى غزوها والتى امتدت إلى وادى الفرات



قد نظن أن جهل المصريين القدماء بنظام النقود عاق سهولة تجارتهم ، ولكن الحقيقة لم تكن كذلك . والدليل فى النقوش البارزة التى كشف عنها فى سقارة ، حيث نرى فيها سوقا تزخر بالحركة والنشاط ، يتبادل فيها المتعاملون عبارات التعامل التى نقشت باللغة الهيروغليفية . فإلى اليمين مشتريان امتلأت أيديهما يتجهان إلى متجر أحد الفلاحين الذى يعرض فيه البصل والقمح .

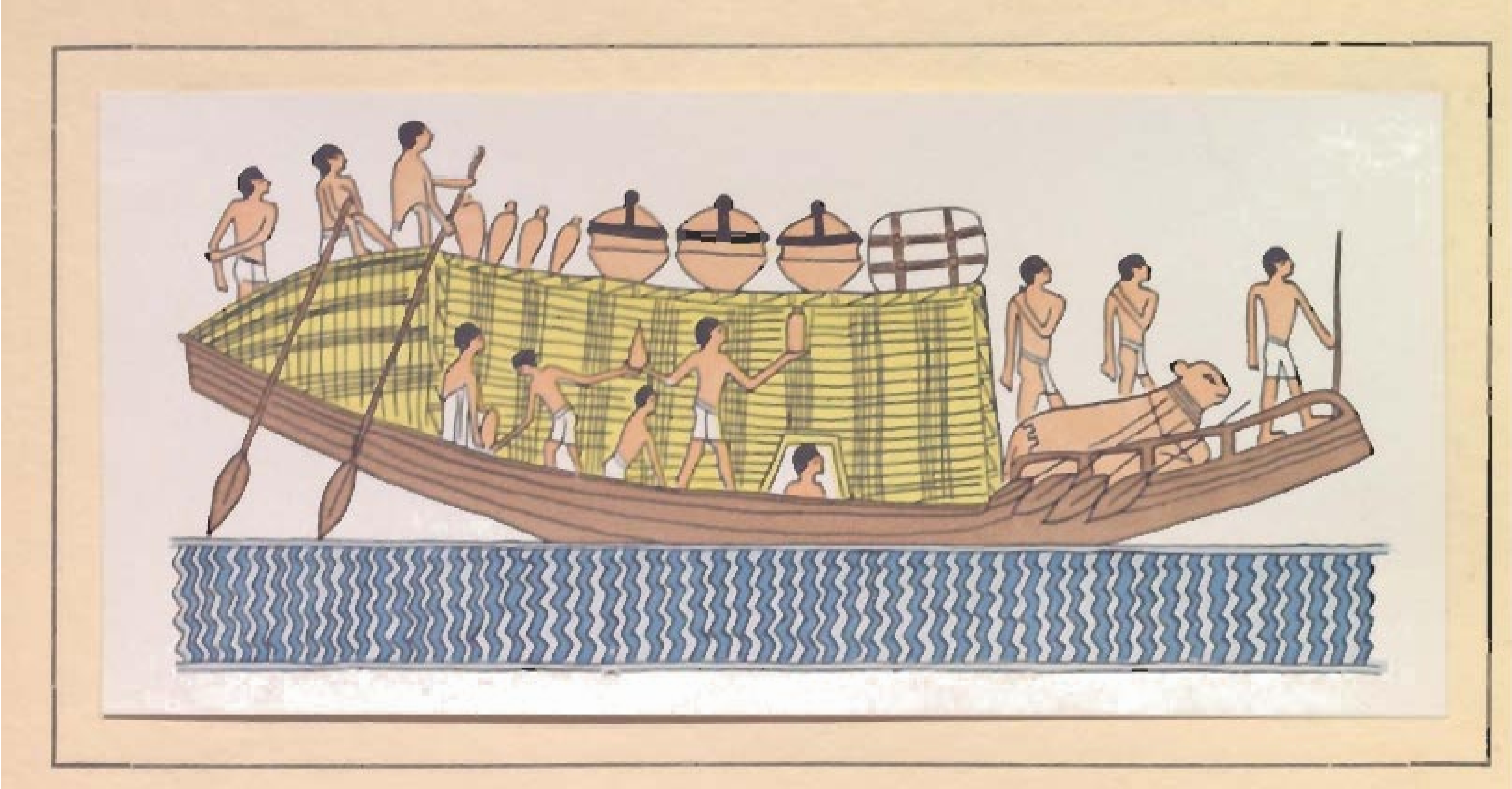
يقول الأول : هاك عقد جميل سوف يروقك بلا شك وتهفو نفسك لاقتنائه .

ويقول الثانى : وهاك مروحة .

فيرد البائع : دعانى أرى ما معكما لأحدد قيمته .

وفى وسط الصورة أحد الباعة المتجولين يعرض سنانير السمك وإلى يسارها امرأة تساوم أحد باعة الخرز ، وبين يديه صندوق صغير .

ليست المبادلة فى الواقع شراً من غيرها من وسائل المعاملة التى عرفنا كيف نحكم أساليبها .



لما كانت العجلة غير معروفة فى الدولة القديمة ، فقد كان غالب الاعتماد على النقل فى القنوات الممتدة فى أنحاء البلاد .

وهذه المركب المثقلة تسير فى النيل . وهناك بحاران يوجهانها بواسطة المجاديف ، وثالث فى مقدمتها يجس عمق المياه ليتفادى كثبان الرمال ، فضلا عن ثلاثة ركاب يتمتعون بمشاهدة المناظر ، وأربعة آخرين مشغولين برفع مياه النهر فى قدور يناولونها إلى « طاهى المركب » الذى نشاهد صورته مرتسمة فى الباب المؤدى إلى داخل المركب .

فى بلد لم تعرف النقود هل كان هذا العمل يغنى عن دفع أجرة السفر ولو فى الدرجة الثانية ؟

بين الآثار الإسلامية

حسن عبد الوهاب
مفتش الآثار العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مصر الإسلامية

إن امتياز مصر بما حوته من مجاميع أثرية جعل لها المقام الأول بين بلاد العالم ، فقد تمثلت فى تلك المجاميع مختلف الحضارات المتعاقبة عليها ، وهى أصدق مقياس لمقدار رقيها وحضارتها .

ومصر الإسلامية قد احتفظت بالكثير من أخطاطها ، وأسواقها ، وفنونها ، وآثارها ، فيجد الباحث فى تاريخها ، وتاريخ العمارة الإسلامية ، مادة غزيرة للدرس ، حيث يرى العمارة الإسلامية والصناعات . ممثلة تمثيلاً كاملاً . لكافة عصورها منذ الفتح الإسلامى . حتى ~~وفاة المغفور له~~ محمد على باشا الكبير . فلا عجب أن تستهوى بجمالها هواة الفنون ومحبى الآثار .

وفى هذه الكلمة أتناول الآثار الغنية بهندستها وفنونها . متخيراً من كل عصر أحسنه . ليقف زائرها على تطور العمارة الإسلامية وتذوّق جمالها .

جامع عمرو بن العاص

إذا راعينا التسلسل التاريخى للآثار الباقية — وجب علينا البدء بجامع عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط ، لأنه أول جامع أنشىء بالديار المصرية عقب فتحها — فقد أنشأه القائد العظيم عمرو ابن العاص فاتح مصر سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) ، وكان وقتئذ جامعاً صغيراً بسيطاً مساحته ٥٠ × ٣٠ ذراعاً ، ثم توالت عليه الزيادات إلى أن أمر والى مصر عبد الله بن طاهر سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) بتوسيعه ، فأضيف إلى أرضه مساحة مثلها . فبلغت مساحته ١١٢,٥٠ × ١٢٠,٥٠ متراً ، وهى مساحته الحالية . أى بزيادة ١٦ مرة عن مساحته الأولى عند تأسيسه .

ولكن العناية بهذا الجامع من توسيع وتجديد أولا ، ثم المحن التى أصابته ثانياً ، جعلت منه اليوم مسجداً عثمانياً بعقوده الداخلية التى بنيت خطأ فى اتجاهها . فقطعت فى شبابيكه القديمة بالجدار الشرقى . و بمنارتيه الباقيتين ، وكل ذلك من أثر عمارة الأمير مراد بك سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧م). غير أنه بقى من الجامع القديم أخشاب منقوشة تسبق العصر الفاطمى ، كما بقيت منه شبابيك جصية ومحراب جصى ، بوجهته الغربية ، ترجع إلى سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣م) .

وقد ثبت أن الجامع فى نهاية القرن السابع الهجرى ، (الثالث عشر الميلادى) كان يشتمل على سبعة أروقة فى الإيوان الشرقى . أعاد مراد بك بناء ستة منها . ومثلها فى الإيوان الغربى . جدد منها رواقاً واحداً ، كما كان فى كل من جانبيه القبلى والبحرى خمسة أروقة لم يبق منها شىء ، وكان له خمس منارات وثلاثة عشر باباً .

ولا تقتصر أهمية جامع عمرو على أنه أول جامع أنشىء بالديار المصرية ، فهو أيضاً أقدم جامعة إسلامية ، ظلت تؤدى رسالتها مدة تسعة قرون ، كما كان به بيت المال لإيداع أموال اليتامى، وكانت تعقد فيه جلسات المحاكم لفض المنازعات الدينية والمدنية .

مقياس النيل بجزيرة الروضة

هو ثانى أثر باق ، وفى الواقع هو أقدم أثر إسلامى فى مصر احتفظ بتفاصيله ، وهو فى أنف جزيرة الروضة ، أمر بإنشائه الخليفة العباسى المتوكل على الله ، بإشراف المهندس القدير أحمد بن محمد الحاسب سنة ٢٤٥ — ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) ليعرف به زيادة ماء النيل وقت الفيضان ، وكان بمقتضاه يجبى الخراج للتاج . وعلى مقدار زيادة هذا الماء يتوقف رخاء المصريين ورفاهيتهم .

الدولة الطولونية سنة ٢٥٤ — ٢٩٢ هـ (٨٦٨ — ٩٠٤ م)

استقلت هذه الدولة بحكم مصر بفضل مؤسسها احمد بن طولون الذى أنشأ مدينة القطائع ،

وقصره ، والميدان . وأنشأ المسجد ودار الإمارة والبيمارستان وقناطر المياه . ولم يبق من منشآته سوى أجزاء من قناطر المياه التى أنشأها قبل سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) جهة البساتين ، ثم مسجده الكبير .

الجامع الطولونى — بميدان أحمد بن طولون

هو ثالث جامع أنشىء للجمعة والجماعة فى مصر . ويعدّ بحق من أقدم الجوامع المحتفظة بتفاصيلها العمارية ، شرع فى بنائه احمد بن طولون سنة ٢٦٣ هـ (٨٧٦) وفرغ منه سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م) وهو على شكل مربع تقريباً ضلعه ١٦٢٫٢٥ × ١٦١٫٥٠ ، وفى هذا الجامع تتجلى عظمة العمارة الإسلامية ، وقد اشتمل على أغنى مجموعة من الزخارف الجصية التى اعتبرت أساساً لتطورها فى مصر ، كما توجد به مجموعة كبيرة من الشبابيك الجصية ، تنوعت أشكالها ، وامتاز على مساجد مصر بمنارته ذات السلم الخارجى ، وهى التى أعاد إنشاءها السلطان لاجين المنصورى سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) على مثال منارته القديمة . وهو الذى قام أيضاً بأهم عمارة بهذا الجامع بقى منها القبة بوسط الصحن ، والمنبر الذى يعدّ طرفة من طرف النجارة ، والقبة أعلى المحراب والفسيفساء المذهبة بتجويفه . ومن بدائع صناعة الجص فى هـذا المسجد المحراب المستنصرى الذى أنشأه الأفضل شاهنشاه حوالى سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤م) .

الدولة الفاطمية سنة (٣٥٨ — ٥٦٧ هـ) (٩٦٩ — ١١٧١م)

مؤسس هـذه الدولة فى مصر هو الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، وفى أيام هذه الدولة أخذت أنوار الحضارة الإسلامية تنبثق من هذه المدينة الزاهيـة على أرجاء الأرض ، وأخذ الفن الإسلامى يتأنق من جميع نواحيه . وكانت أيامهم كلها أعياداً بما ابتكروه من حفـلات جمعت بين جـلال الملك وطرب الشعب وبهجته .

وهذه الدولة — وإن كان الزمن قد اعتدى على أكثر منشآتها المدنية وأهمها القصران والمناظر فأبادها — إلا أنه أبقى على بعض منشآتها الحربية والدينية والكثير من طرفها الأثرية .

وأهم الآثار الباقية أسوار القاهرة وأبوابها ، التى أعاد إنشاءها الوزير الكبير بدر الجمالى ، وأهم قسم باق منها باب النصر و باب الفتوح المنشآن سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧م) والسور بأبراجه وشرفاته بينهما ، وفى هذين البابين والسور المتصل بهما تمثلت عظمة التحصينات كما تمثلت روعة العمارة الإسلامية .

ومن هذه الأبواب باب زويلة الذى أنشأه بدر الجمالى أيضاً سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١م) ، وقد دل التنوع الغريب فى الأبواب الثلاثة على براعة المهندس .

ويقوم إلى جانب باب الفتوح جامع الحاكم بأمر الله الذى أنشأه الخليفة الفاطمى العزيز بالله سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠م) وأتمه ابنه الحاكم وافتتحه للصلاة سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢م) . وهذا المسجد وإن كان أصابه تخريب كبير ، إلا أن الزمن أبقى على قسم كبير من إيوانه الشرقى بكتاباته الكوفية وعلى قاعدة القبة فوق المحراب بكتاباتها وشبابيكها ، كما أبقى على منارتيه المعتبرتين من أقدم المنارات فى مصر ، وقد حفلتا بشتى النقوش والكتابات ، وقام بيبرس الجاشنكير ببناء قمتهما الظاهرتين ضمن عمارته للجامع سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣م) .

وقد أنشأت هذه الدولة عدة مشاهد لأهل البيت وغيرهم امتازت بتصميم خاص ، منها : المشهد المعروف بالجيوشى فوق جبل المقطم . الذى أنشأه بدر الجمالى سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥م) ، وقيل ابنه الأفضل شاهنشاه ، وتصميم هذا المشهد غريب . وامتاز بمحرابه الحافل بنوع مخصوص من الكتابات الكوفية والزخارف الجصية المتنوعة وبدعائم جانبيه المنتهية بقباب صغيرة ، ومشهد أخوة يوسف جهة الأبجيّة المنشأ فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى . وامتاز بتصميمه وزخارف محاريبه ، ومشهد السيدة رقية بشارع الخليفة المنشأ سنة ٥٢٧ هـ (١١٣٢م) ، وامتاز بجمال تابوته ومحرابه الخشبيين ، وقد أمرت بعملهما السيدة علم الآمرية سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨م) . وقد أودع المحراب دار الآثار العربية ، لأنه من المحاريب المتنقلة ، وهو من بدائع صناعة النجارة .

ومع ما أصاب مساجدها من تخريب، فإن بقاياها توحى بما كانت عليه من روعة . وتنحصر فى جوامع الأزهر ، والأقمر ، والصالح طلائع .

الجامع الأزهر — ميدان الأزهر

هو أول جامع أنشىء بمدينة القاهرة ، أنشأه القائد جوهر الصقلى باسم سيده المعز لدين الله سنة ٣٥٩ ﻫ (٩٧٠م) . وانتهى العمل منه وأقيمت به أول جمعة فى ٧ رمضان سنة ٣٦١ﻫ (٩٧٢م) .

ولكن الجامع الذى نراه اليوم ليس كله بالجامع الفاطمى الذى وضع أساسه جوهر، بل هو مجموعة من المنشآت ضمت إليه فى أوقات مختلفة ، ولذلك سنقف أمام تفاصيله المختلفة لنتولاها بالشرح : فالباب الغربى الكبير من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٦٧ ﻫ (١٧٥٣ م) ، و باجتيازه نرى مدرستين : اليمنى منهما المدرسة الطيبرسية التى أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازندارى سنة ٧٠٩ ﻫ (١٣٠٩ م) ، وقد جدد وجهتها عبد الرحمن كتخدا ، و بقى بها محراب من أنفس المحاريب الرخامية بدقة رخامه وفسيفسائه المذهّبة . واليسرى مدرسة الأمير أقبغا عبد الواحد التى أنشأها سنة ٧٤٠ ﻫ (١٣٤٠ م) ، وحولت إلى مكتبة للأزهر سنة ١٣١٤ ﻫ (١٨٩٦م) ، و يسترعى النظر فيها جمال مدخلها ومحرابيها برخامهما الدقيق وفسيفسائهما المذهبة ، و يتوسط المدرستين باب حافل بالكتابات والنقوش حلّ محل المدخل القديم للأزهر ، جدد إنشاءه السلطان قايتباى ، وأنشأ المنارة على يمينه سنة ٨٧٣ ﻫ (١٤٦٨ م) ، وهى من أرشق منارات مصر .

و باجتياز هذا الباب نصل إلى صحن الجامع ، وقد أحيطت به عقود هى من الإضافات التى زيدت عليه فى مبدأ القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) — وخلفها الأكتاف الأصلية للجامع . و يتوسط القسم الشرقى من هذه الإضافة قبة حلّى داخلها بشتى الزخارف والكتابات ، وهى تؤدى إلى مجاز يشق الإيوان الشرقى إلى المحراب القديم . وعقود هذا المجاز بزخارفها وكتاباتها ، والمحراب القديم بزخارفه وكتاباته ، و بقايا الزخارف الجصية بجدرانه الشرقية والقبلية والبحرية هى الباقية من عصر إنشاء الجامع . أما بقية عقوده وسقوفه فقد توالت عليها التجديدات . والقسم الشرقى خلف المحراب القديم من إضافة عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٦٧ ﻫ (١٧٥٣ م) ، وهو الذى

أنشأ أيضاً باب الشعرية و باب الصعايدة بمنارتيهما ، وقد جدّد الخديو اسماعيل الباب الثانى منهما سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) ، كما جدّد الخديو توفيق أروقة القسم المذكور سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) واحتفظ بمحرابه ومنبره .

وفى النهاية الشرقية للجدار البحرى المدرسة الجوهرية التى أنشأها الأمير جوهر القنقبائى خازندار الملك الأشرف برسباى قبل سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) ، وهى مدرسة صغيرة ولكنها اشتملت على جميع تفاصيل المدرسة لاشتمالها على أربعة إيوانات يتوسطها صحن مفروش بالرخام ، وطُعِّمت نجارتها بالسن ، كما حُلّيت قبتها الحجرية من الخارج بنقوش مورّقة ، وحينما نهم بالخروج من الإيوان الشرقى نرى ثلاث منارات : اليمنى منارة المدرسة الاقبغاوية . والثانية منارة السلطان قايتباى ، والثالثة منارة السلطان الغورى ، وهى المزدوجة الرأس ، وقد أنشأها سنة ٩١٥ هـ (١٥١٠ م) وامتازت بوجود سلمين فيما بين دورتيها الأولى والثانية لايرى الصاعد فى أحدهما الآخر ؛ وهى إحدى النكت الفنية فى العمارة الإسلامية .

الجامع الأقمر — بشارع النحاسين

أنشأه الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥م) . ووجهته الحجرية من أجمل الوجهات كما أنها فريدة فى نوعها ، وقد حفلت بمختلف النقوش والمقرنصات والكتابات الكوفية المشتملة على اسم الآمر بأحكام الله ووزيره أبى عبد الله محمد بن فاتك ، أما المنارة القائمة على يسار بابه فهى من أثر عمارة الأمير يلبغا السالمى سنة ٧٩٩ هـ (١٣٩٧ م) .

جامع الصالح طلائع — بميدان باب زويلة

هذا الميدان حافل بمجموعة أثرية عظيمة من الآثار الإسلامية ؛ إذ يشرف عليه باب زويلة أحد أبواب القاهرة الفاطمية — وفوقه منارتا الجامع المؤيدى ، وأمامه زاوية السلطان فرج

ابن برقوق المنشأة سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨ م) . وقبليها منازل وقصبة رضوان المنشأة سنة ١٠٦٠ هـ (١٦٥٠ م) ، وهى أجمل سوق قديمة باقية فى مصر .

أنشأ هذا الجامع الصالح طلائع بن رزّيك الوزير الفاطمى ، وفرغ من بنائه سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) . وقد اشتمل على مميزات عمارية قلّ أن تتوافر فى مسجد فاطمى آخر ، إذ حليت وجهاته الثلاث بعقود وكتابات كوفية ، كما ألحق به فى الجهة الشرقية مشهداً لرأس الأمام الحسين ولم يمكنه الخليفة الفاطمى وقتئذ من دفنه فيه ، ودفنه فى المشهد المعروف به ، ومن أهم العمارات التى أجريت بهذا المسجد تلك العمارة التى أجراها الأمير بكتمر الجوكندار سنة ٧٠٢هـ (١٣٠٢م) . وهو الذى عمل منبره الحالى سنة ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م) .

الدولة الأيوبية سنة ٥٦٧ — ٦٤٨ هـ (١١٧١ — ١٢٥٠ م)

مؤسس هذه الدولة فى مصر ، هو صلاح الدين يوسف بن أيوب خصم الصليبيين وقاهرهم ، والذى أخذ على عاتقه هو وأفراد أسرته أن يقف حجر عثرة فى سبيل الصليبيين حتى كانت أيامه وأيام خلفائه كلها فتحاً وجهاداً .

ظلت مصر خاضعة للأيوبيين نحو ثمانين عاماً ، ازدهرت فيها العمارة والفنون الإسلامية ، ولكن مع الأسف عفت معظم منشآتهم ، و بقى عدد قليل منها غير كامل ، ولكنه على قلته يعطينا فكرة صريحة عن ازدهار العمارة والفنون فى هذه الدولة . وأهم ما بقى منها فى مصر بقايا قلعة صلاح الدين وأسواره ، وقبة الإمام الشافعى ، وتابوت المشهد الحسينى ، والمدرسة الصالحية ، وتربة اسماعيل بن ثعلب ، وقبتا شجر الدر والخلفاء العباسيين .

قلعة الجبل — بميدان صلاح الدين

أمر صلاح الدين بإنشاء القلعة و بناء أسوار حول مصر والفسطاط تربطهما بأسوار القاهرة ، وعهد فى تنفيذ هذا المشروع إلى وزيره بهاء الدين قراقوش ، فبدأ فى إنشاء القلعة سنة ٥٧٢ هـ

(١١٧٦ م) ، وظلّ العمل جارياً فيها وفى الأسوار حتى وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣م) ، ثم عنى الملك العادل وابنه الملك الكامل محمد بإتمام عمارة القلعة واتخاذها مقراً للملك .

وقد حفرت داخل القلعة بئر للتزود من مائها إذا ما قدر للقلعة أن تحاصر ، وهى المعروفة بالحلزون ويبلغ عمقها حوالى ٩٠ متراً . وكانت المياه تصل إلى القلعة عن طريق قناطر المياه .

ظلت القلعة مقراً للملك منذ إنشائها حتى عصر الخديو اسماعيل ، فهو أول من اتخذ قصر عابدين العامر مقراً للملك .

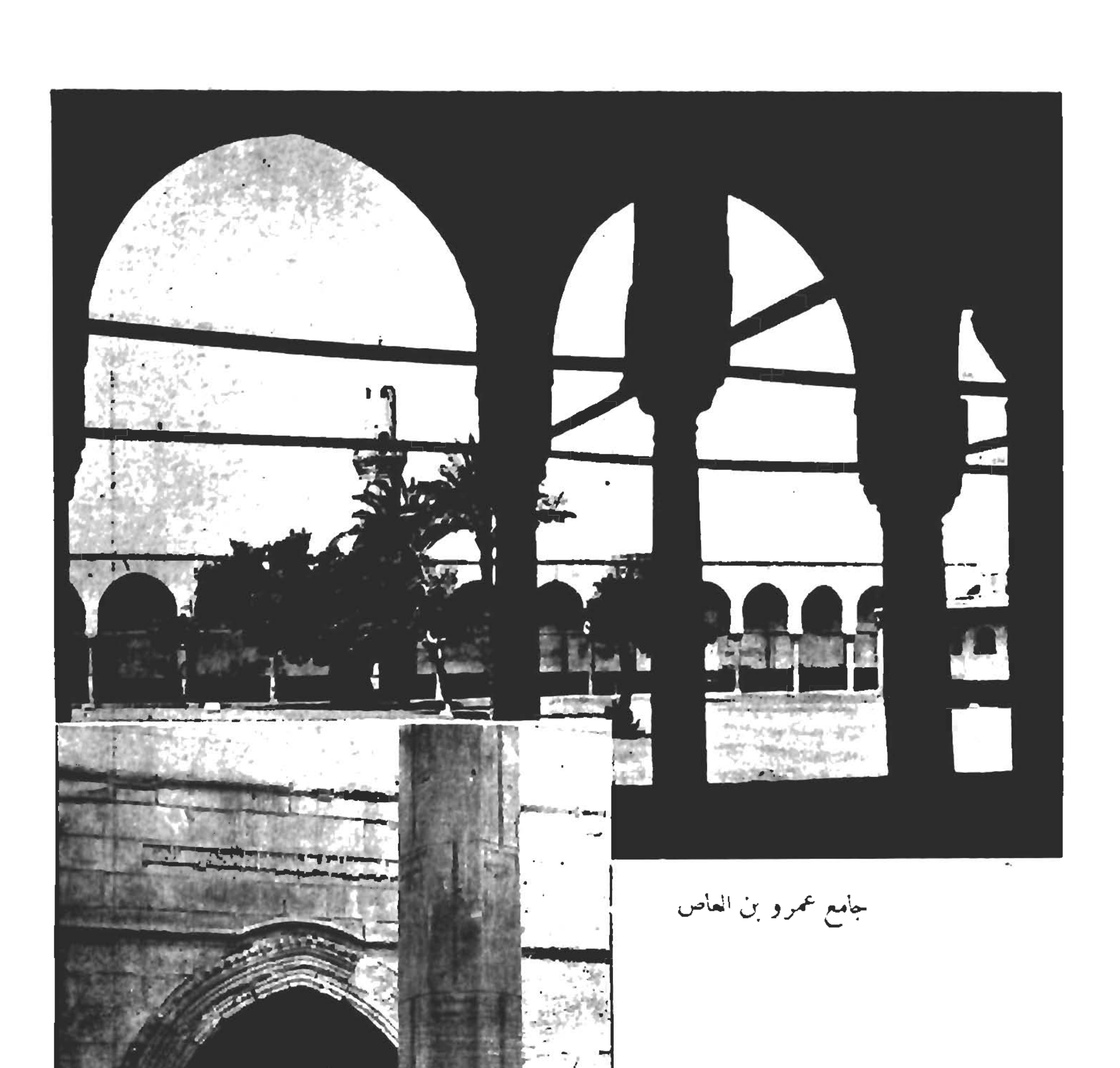
و إلى يومنا هـذا تتمثل فى القلعة الأدوار التى مرّت بها فى مختلف العصور ممثلة فى أبوابها ، وأسوارها ، وأبراجها ، ومساجدها ، و بقايا قصورها ، ونصوصها التاريخية وأقدمها نص تاريخى على باب المدرّج باسم صلاح الدين مؤرخ سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) . وأحدث هذه النصوص فى عمارة أجراها بها الخديو اسماعيل سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) .

وفى عصر المغفور له محمد على أصبح اسمه علماً على قلعـة الجبل بما أجراه فيها من إصلاحات وما استحدثه فيهـا من منشآت ، وبمـا أضافه إليها من أبواب وأبراج وأسوار وقصور ، و بخاصة مسجده الكبير .

ولسوف يظل اسم القلعة بعد ذلك مقترناً باسم **الفاروق** مدى الأجيال ، ففى عهده السـعيد الزاهر تمّ تسليمها إلى الحكومة المصرية ، وبذلك أعيـد إلى مصر أول مظهر قومى بإعادة قلعة الجبل إلى حظيرتها يخفق فوقها العلم المصرى .

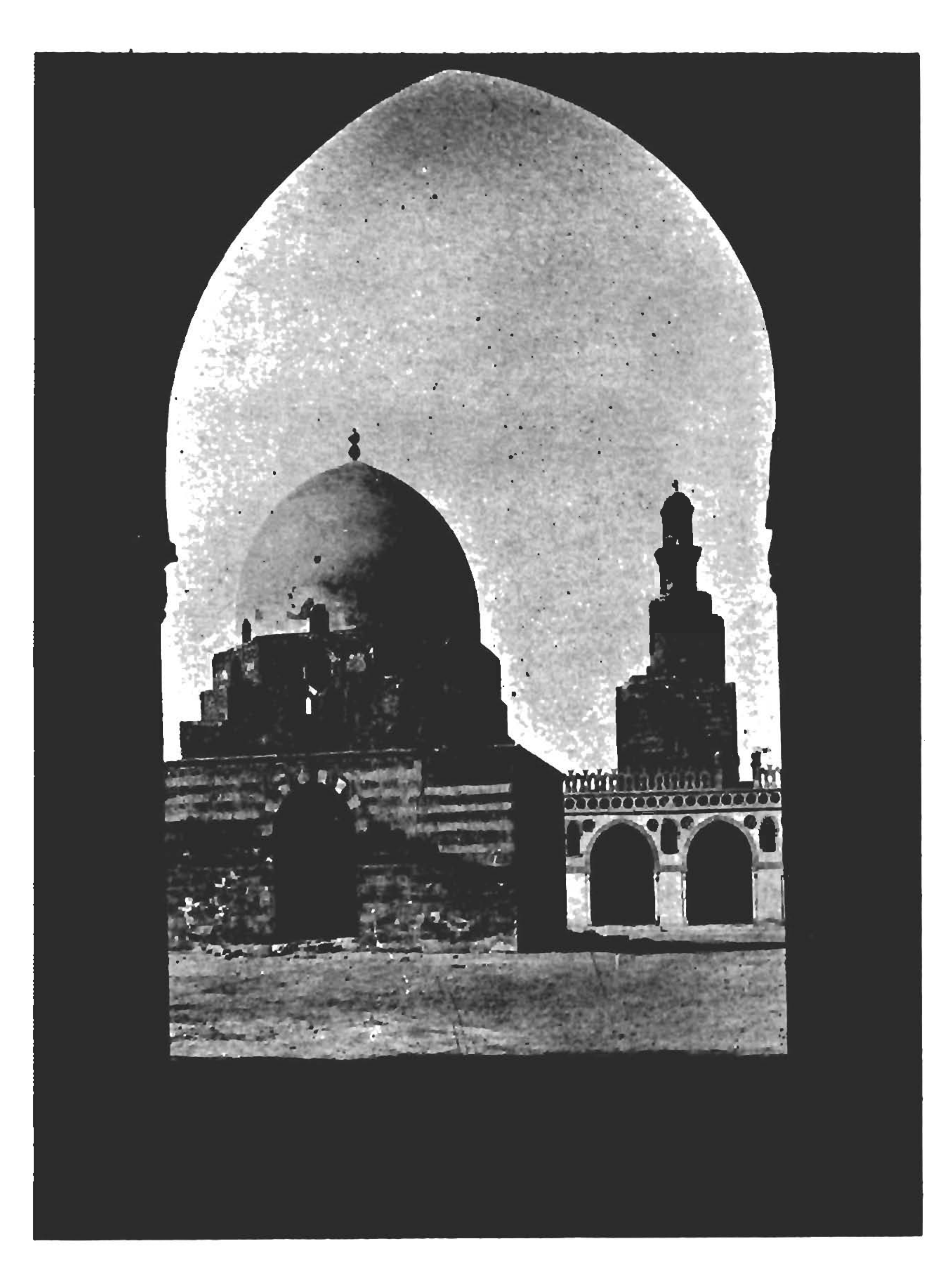
تابوت المشهد الحسينى

فى سنة ١٩٣٩ استخرجت من حجرة أسفل مقصورة المشهد الحسينى تابوتا خشبياً من روائع صناعة النجارة ، أرجح أن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى عند بنائه المدرسة التى كانت ملاصقة للمشهد والتى حل محلها المسجد الحالى ، أمر بصُنعه لمطابقة صناعته للتابوت الذى أمر بصُنعه على قبر



جامع عمرو بن العاص

مقياس النيل بجزيرة الروضة



الجامع الطولونى

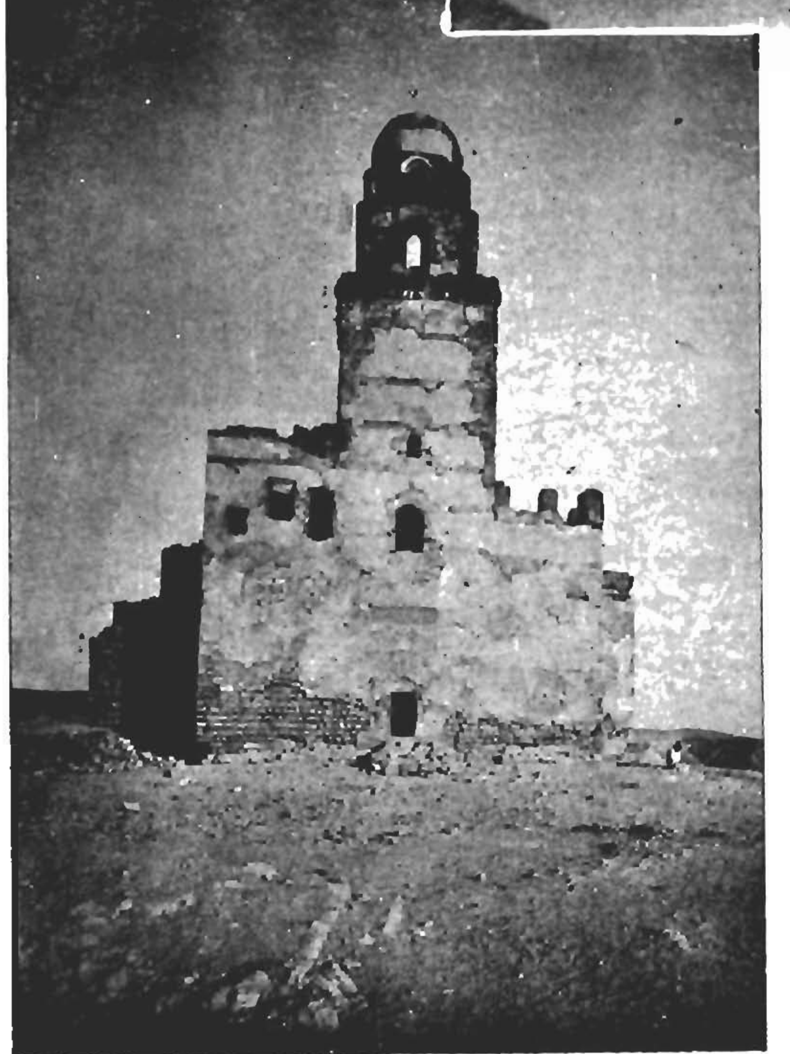


المحراب المستنصرى
بالجامع الطولونى

باب النصر

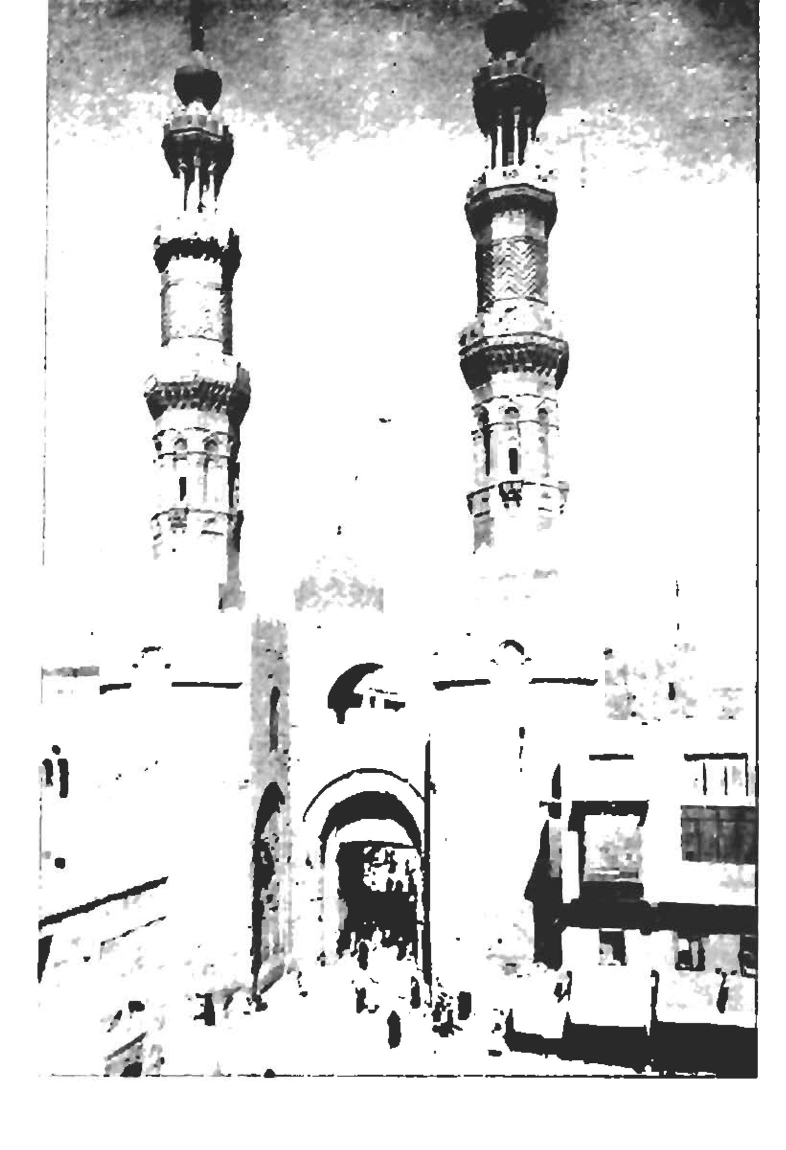


باب الفتوح



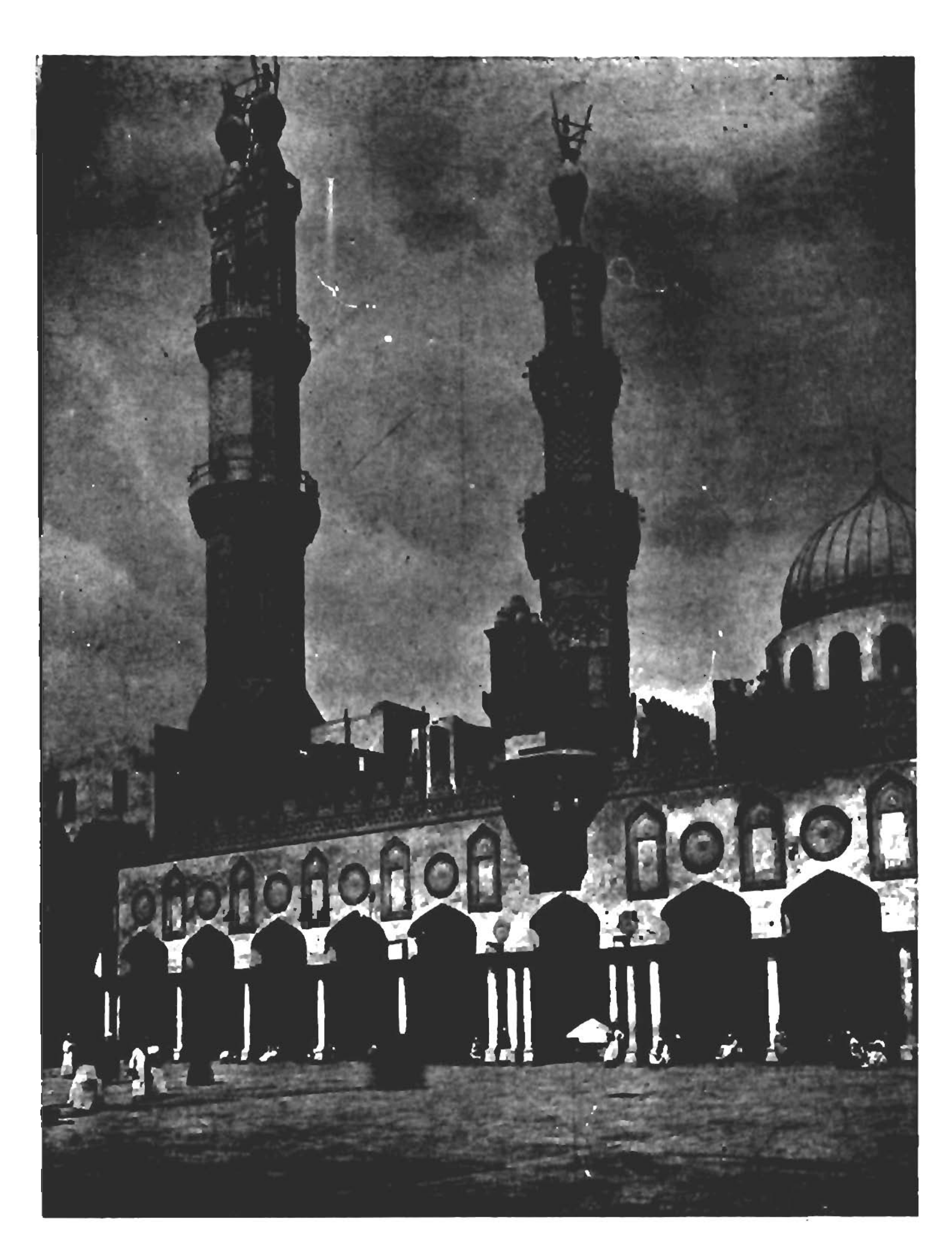
جامع الجيوشى

باب زويلة ومنارتا الجامع المؤيدى



منارة جامع الحاكم

ويبدو فيها قمتها من عمل بيبرس الجاشنكير



الوجهة الغربية لصحن الجامع الأزهر

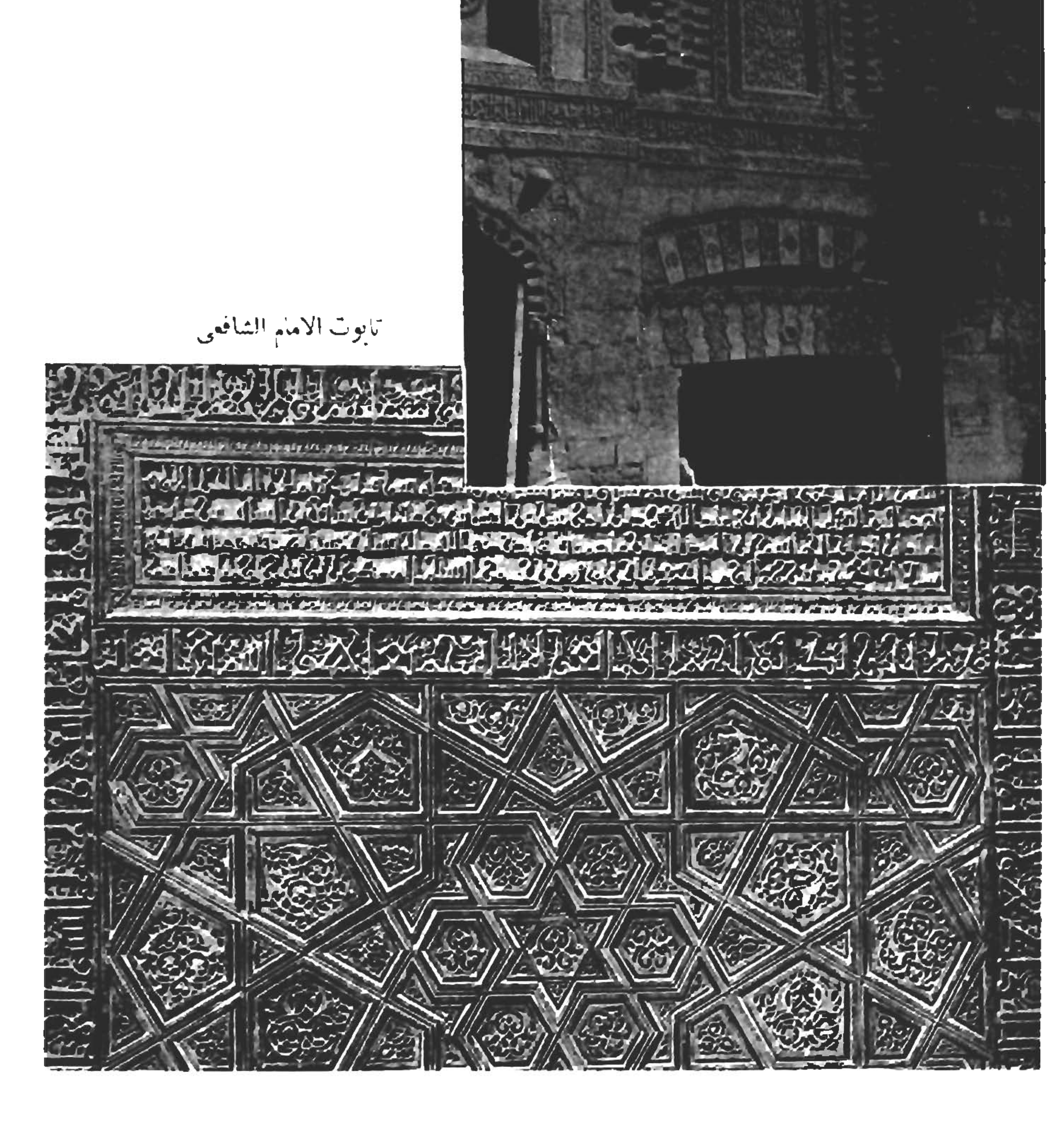


الوجهة الغربية لجامع
الصالح طلائع بن رزّيك

تفاصيل من تابوت المشهد الحسينى

باب المدرسة الصالحية
(الصالح نجم الدين)

تابوت الامام الشافعي



الشافعى سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م) . وهـــذا التابوت أودع دار الآثار العربية بعد إصلاحه .

قبة الإمام الشافعى — بشارع الإمام الشافعى

لما توفى الإمام محمد بن إدريس الشافعى سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩م) دفن بتربة أولاد ابن عبد الحكم، وظلت مقبرته فى ساحة حتى عنى بها الملك الناصر صلاح الدين كما عنى بنشر مذهبه ، فنى سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦م) بنى بجوارها مدرسة عرفت بالصلاحية حلّ محلها المسجد الحالى الذى أعاد إنشاءه الخديو توفيق سنة ١٣٠٩ هـ (١٨٩١ م) . وبقى من عمارة صلاح الدين لتربة الشافعى التابوت الخشبى فوق قبره ، وهو تابوت كبير دقت حشواته بالأيْمة الدقيقة وعليه اسم صانعه (عبيد النجار المعروف بابن معالى) وهو من طرائف فنّ النجارة .

وفى سنة ٦٠٨ هـ (١٢١١ م) أنشأ هذه القبة السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل لما دفنت والدته هناك ، وقيل إنها هى المنشئة لها ، وهى من أجمل القباب بمصر ، افتنّ المهندس فى زخرفتها ونقوشها من الداخل والخارج ، وأقيم على قبر أم الملك الكامل تابوت لا يقل أهمية عن تابوت الشافعى . أما النقوش الملونة والمذهبة بالقبة من أعلاها فهى من أثر عمارة أجراها بها على بك الكبير سنة ١١٨٦ هـ (١٧٧٢ م) .

المدرسة الصالحية (١) — بشارع النحاسين

أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب على رقعة من أرض القصر الفاطمى الكبير محل الباب المعروف ، بباب الزهومة . وفرغ من بنائها سنة ٦٤١ هـ (١٢٤٣ م) وأعدها لتدريس المذاهب الأربعة . ثم تخربت هذه المدرسة ، ولم يبق منها سوى مدخلها المشتمل على نقوش دقيقة وكتابات تاريخية ، وتعلوه المنارة ، كما بقيت الوجهة الغربية بشبابيكها المختلفة النقوش .

---

(١) ظهرت المدرسة فى نهاية العصر الفاطمى لدراسة مذهب من المذاهب الأربعة أو كلها ، وأعدت أيضاً لإقامة الشعائر الدينية ، وتختلف عن المسجد بأن تصميمها متعامد (Cruciforme) .

وفى الطرف البحرى قبة الصالح نجم الدين التى أنشأتها له زوجته شجر الدر سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) . وامتازت هذه القبة بجمال نجارتها مع بساطتها ، وبكسوة محرابها برخام دقيق وفسيفساء مذهبة .

قبة الخلفاء العباسيين — خلف المشهد النفيسى

أنشئت هذه القبة حوالى سنة ٦٤١هـ (١٢٤٣م) . ودفن بها الخلفاء العباسيون الذين وافتهم منيتهم بديار مصر فى القرنين السابع والثامن الهجرى وغيرهم ، وهى على أعظم جانب من الأهمية لما حوته من زخارف جصّية بلغت منتهى الدقة ، ومكتوب بحزام رقبتها آية الكرسى بالخط الكوفى الأندلسى .

قبة شجر الدر — بشارع الخليفة

أمرت بإنشائها ملكة مصر شجر الدر سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠م) وطَرْزها كطَرْز قبة الخلفاء العباسيين ، وبها من الداخل أيضاً زخارف جصية دقيقة ، وامتازت بفسيفساء مذهبة فى محرابها ، وبإزار مكتوب بالخط الكوفى . ولما توفيت سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م) دفنت بها . ومكتوب بطراز مربعها ألقابها الملكية مما يؤيد أنها أنشأتها وهى متولية ملك مصر .

دولة المماليك البحرية سنة ٦٤٨ — ٧٨٤ هـ (١٢٥٠ — ١٣٨٢ م)

عصر هذه الدولة من العصور الذهبية ، فقد تنافس فيه ملوك مصر وأمراؤها فى تشييد المنشآت العمارية الخيرية والمدنية ، وفيه أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون ديواناً للأشغال . وقد عمرت هذه الدولة زهاء ١٣٦ سنة ، قام بالحكم فيها أكثر هذه المدة أسرة واحدة توارثت الحكم وعلى رأسها المنصور قلاوون . ولهذه الأسرة وأمرائها مجموعة قيمة من الآثار أذكر منها :

قبة ومدرسة وبيمارستان المنصور قلاوون — بشارع النحاسين

أنشأ هذه المجموعة الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى على رقعة من أرض القصر الفاطمى الصغير الغربى . وكان البدء بإنشائها فى شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) والفراغ منها فى جمادى الأولى سنة ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) كما ورد فى نصوصها التاريخية ، ولكنى أتشكك فى هذا التاريخ وأرجح أنها تمت بناء وزخرفاً فى نهاية سنة ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م) .

وقبة هذه المدرسة انفردت دون قباب مصر بطُرُزها وزخارفها ؛ لأنها اشتملت على وزرات رخامية مطعمة بالصدف دقيقة جداً ، وعلى محراب من أكبر وأفخم المحاريب ، وعلى سقوف مذهبة وزخارف جصية دقيقة ، ولما توفى المنصور قلاوون سنة ٦٨٩هـ دفن بها . كما دفن بها ابنه الناصر محمد ابن قلاوون وعماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون ، وأمام باب القبة باب المدرسة وخلفها من الجهة الغربية بقايا البيمارستان[1] الذى أعده لمعالجة جميع الأمراض ولدراسة الطب .

مدرسة الناصر محمد بن قلاوون — بشارع النحاسين

بدأ فى إنشائها الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى وأدخل فى عمارتها باباً رخامياً كان قد أحضره الملك الأشرف خليل من إحدى كنائس عكّا عند فتحه لها سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩٠م) ، وارتفع ببنائها إلى الطراز المكتوب بوجهتها وذلك فى سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) ثم خُلِعَ من الملك قبل أن يتمها ، ولما عاد الملك الناصر محمد إلى ملك مصر للمرة الثانية اشترى المدرسة وبنى بها قبة فكملت فى سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) ونقل إليها رفات والدته ، كما دفن بها ابنه الأمير أنوك ، وأقام فوق مدخلها منارة مربعة مشحونة بالزخارف الجصية المتأثرة بالزخارف الأندلسية .

---

(١) بيمارستان كلمة فارسية مركبة من بيمار أى مريض وستان أى محل . ويقال له بالتركية « خسته خانه » .

مسجد الناصر محمد — بالقلعة

وللناصر مسجد آخر فى قلعة الجبل ، أنشأه سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٥ م) امتاز بجمال منارتيه وكسوة قمتهما بالقاشانى الجميل ، كما كان ممتازاً بوزرته الرخامية المطعمة بالصدف ، وسقوفه الملونة المذهبة ، وقد وُضع مشروع كبير لإصلاحه إصلاحاً شاملاً تنفيذاً للرغبة الملكية السامية .

الخانقاه الجاولية[1] — بشارع مراسينة

أمر بإنشائها الأمير سلّار نائب السلطنة فى دولة الناصر محمد بن قلاوون، وعهد ببنائها إلى صديقه الأمير سنجر الجاولى فتمّت فى سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٣ م) ولما توفى الأمير سلّار سنة ٧١٠هـ (١٣١٠م) والأمير سنجر الجاولى سنة ٧٤٥هـ (١٣٤٦ م) دفنا بها ، كل منهما فى قبة أفردت له . وامتازت هذه الخانقاه بجمال وجهتها المشتملة على قبتين ومنارة ، وبشبابيكها الحجرية المفرغة التى لا نظير لها فى أثر آخر.

مسجد الطنبغا المارداني — بشارع التبانة

أنشأ هذا المسجد الأمير الطنبغا الماردانى الساقى أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون وزوج ابنته ، وكان الشروع فى إنشائه سنة ٧٣٨هـ (١٣٣٧ م) واحتفل بافتتاحه فى يوم الجمعة ٢٤ رمضان سنة ٧٤٠هـ (١٣٤٠م). وهو مسجد غنىّ بمختلف الصناعات فى الرخام والأخشاب، وله محراب دقيق من الرخام الملون والمطعم بالصدف يجاوره منبر خشبى دقيق الصنعة ، هذا عدا الزخارف الجصية الملونة .

وقد وضع تصميم هذا المسجد ونفذه المهندس القدير ابن السيوفى كبير المهندسين فى دولة الناصر محمد بن قلاوون .

---

(١) خانقاه : كلمة فارسية معناها دار الصوفية .

القصور

مما يؤسف له أنه لم يبق من قصور هذا العصر قصر كامل ، ولكن توجد تفاصيل من هذه القصور مثل بقايا قصر الأمير قوصون خلف مدرسة السلطان حسن . وقد أنشأه سنة ٧٣٨ ﻫ (١٣٣٨ م) الأمير قوصون الساقى صهر الناصر محمد بن قلاوون وسكن فيه مدة حياته ، ثم اتخذ بعده مقراً لسكنى كبار الأمراء إلى أن آل إلى الأمير يشبك من مهدى سنة ٨٨٠ ﻫ (١٤٧٦ م) فنقش اسمه وألقابه على جانبى مدخله ، وهو أهم ما بقى من هذا القصر ، ويعتبر من أفخم المداخل وأعظمها ، ويزيد فى قيمته نقش اسم صانعه عليه (محمد بن أحمد زغلش الشامى) .

ومن منشآت الأمير قوصون وكالة فى شارع باب النصر ، كانت معدة لنزول تجار الشام ببضائعهم من زيت وصابون وفستق وجوز ولوز ، وكانت بمثابة فندق يشتمل على ٣٦٠ بيتاً يسكنها نحو أربعة آلاف نفس ، وقد تخربت الوكالة وبقى مدخلها المكسو بالرخام وعليه رنك منشئها .

ومن هذه القصور قصر الأمير بشتاك بشارع النحاسين . أنشأه سنة ٧٣٥ﻫ (١٣٣٥م) ولم يبق منه سوى جزء من وجهته مع مدخله وقاعته الكبيرة . وتصميم هذه القاعة وسقوفها المذهبة ، وبقايا وزرتها الرخامية الدقيقة ، ونجارتها تشعر بما كان عليه هذا القصر من روعة وبهاء .

وللأمير بشتاك حمام بشارع سوق السلاح أنشأها حوالى سنة ٧٤٠ ﻫ (١٣٤٠ م) . وقد تجدد داخلها واحتفظت بمدخلها المكسو بالرخام الملوّن وهو وحيد فى نوعه .

ومن هذه القصور قصر الأمير طاز الذى أنشأه سنة ٧٥٣ ﻫ (١٣٥٢م) بشارع السيوفية ، وبه الآن مدرسة الحلمية الثانوية ، وقد احتفظ بمدخليه وبقاعته الكبيرة بسقوفها المتنوعة .

جامع آق سنقر (إبراهيم أغا) — بشارع باب الوزير

أمر بإنشائه الأمير آق سنقر الناصرى من كبار أمراء الناصر محمد بن قلاوون وزوج ابنته ، وكان البدء فى إنشائه سنة ٧٤٧ ﻫ ، وافتتحه للصلاة فى سنة ٧٤٨ ﻫ (١٣٤٧ م) . وعرف بالجامع

الأزرق نسبة إلى مجموعة القاشانى التى كسى بها الإيوان الشرقى الأمير إبراهيم أغا مستحفظان حينما أصلح الجامع سنة ١٠٦٢ هـ (١٦٥٢ م)، وأقام لنفسه مدفناً كسى جدرانه بالقاشانى أيضاً. وهى أكبر مجموعة من القاشانى عملت خصيصاً لهذا الجامع. وللجامع محراب من الرخام الدقيق يجاوره منبر رخامى من أنفس المنابر الرخامية بمصر، كما أن منارته من المنارات الرشيقة. وملحق به قبة دفن بها السلطان علاء الدين كجك المتوفى سنة ٧٤٦ هـ (١٣٤٥ م).

مدرسة السلطان حسن — بميدان صلاح الدين

أنشأها السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون. وكان البدء فى إنشائها سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦ م) وهى إحدى عجائب العمارة الإسلامية، بل ومن مفاخرها، والزائر لها تبهره بضخامة بنائها وجمال تناسقها ودقة نقوشها، سواء أكانت فى الحجر أم الخشب أم الرخام أم الجص، كما أن مدخلها من أفخم المداخل وأعلاها، وقد حلى بالمقرنصات المتعددة الحطات، كما حلى جانباه بالزخارف المتنوعة والممتدة إلى أعلى، وكثير منها لم يتم الآن. وكان مركباً عليه مصراعان من الخشب المغشى بالنحاس المفرغ بأشكال زخرفية نقلهما الملك المؤيد شيخ إلى مسجده سنة ٨١٩ هـ (١٤١٦ م).

وامتازت هذه المدرسة بضخامة عقد إيوانها الشرقى الذى لا نظير له فى العمارة الإسلامية لا فى مصر ولا فى قطر آخر، ويسترعى النظر فيه الإزار الجصى المزخرف والمكتوب فيه بالخط الكوفى آيات من سورة الفتح، وكذلك المنبر الرخامى والدكة الرخامية، وباب القبة المكفت بالذهب، ويحدق بالصحن أربع مدارس للمذاهب الأربعة؛ أكبرها المدرسة الحنفية المكتوب بطراز صحنها اسم المهندس (محمد بن بيليك المحسنى).

وتقوم القبة خلف المحراب، ويعتبر وضعها شاذاً، ولم يدفن بها السلطان حسن بل دفن فيها ابنه الشهاب أحمد المتوفى سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م)، وقد جُدد غطاء هذه القبة ومنارة المسجد البحرية سنة ١٠٨٢ هـ (١٦٧٢ م). ويتدلى من عقود الإيوانات سلاسل كانت معدة لتعليق مشكاوات

زجاجية منقوشة ومكتوبة بالمينا أودع ما تبقى منها — وعدده ٣٤ مشكاة — دار الآثار العربية ، وهى من أجمل المصابيح الزجاجية .

مدرسة أم السلطان شعبان — بشارع التبانة

اقترن اسم هذه المدرسة باسم شخصيتين عظيمتين : الأولى السيدة الجليلة خوند بركة أم السلطان شعبان، وكانت من السيدات الخيرات، اشتهرت بميلها إلى أعمال البر، والشخصية الثانية الملك الأشرف أبو المفاخر شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون الذى ولى ملك مصر سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣م) . وكان الفراغ من بناء المدرسة سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨م) وقد حفلت بشتى الصناعات فقد كانت سقوفها ملونة مذهبة ، والأرضيات مفروشة بالرخام ، كما أن التذهيب كان يشمل الكثير من زخارفها الحجرية والرخامية ، والباب العام من أكثر الأبواب زخرفاً وأندرها تصميما. فقد انفرد بطرزه وعقوده ومقرنصاته المذهبة ، وبالكتابة الكوفية المحيطة به .

المماليك الجراكسة سنة ٧٨٤ — ٩٢٣ هـ (١٣٨٣ — ١٥١٧ م)

إذا أطلقنا على العمارة فى دولة المماليك البحرية العصر الذهبى ، فجدير بهذا العصر أن يطلق عليه العصر الماسى . فقد أخذت فيه العمارة زخرفها وازّينت ، وظهرت فيه عمائر لملوك مصر وأمرائها بلغت القمة فى دقة الزخرف وجمال التناسب أذكر منها :

مدرسة وخانقاه الظاهر برقوق — بشارع النحاسين

أمر بإنشائها الملك الظاهر برقوق بن أنس سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) ، ونفذ عمارتها المهندس القدير شهاب الدين احمد بن الطولونى ، وهى مدرسة غنية بشتى فنون العمارة ، فقد كسى الباب بالرخام وكفتت مصاريعه النحاسية بالفضة . وامتازت وجهتها الرئيسية بوجود شبابيك خشبية

مجمعة بأشكال هندسية حلت محل الشبابيك الجصية . كما امتازت منارتها الضخمة بتلبيس الرخام فيها ، أما سقف الإيوان الشرقى فهو من روائع الصناعة بنقوشه الملونة والمذهبة .

خانقاه فرج بن برقوق — بصحراء قايتباى

هذه الخانقاه هى أكبر بناية أثرية فى قرافات مصر ، والآمر بإنشائها هو الملك الظاهر برقوق لأنه أوصى عند وفاته أن يدفن مع مجموعة من العلماء فى هذا الموقع ، فنفذ ابنه الملك الناصر فرج وصيته وأنشأها لتؤدى عدة أغراض : أولها مدفن للظاهر برقوق وأسرته ، ثانياً مسجد لإقامة الشعائر الدينية ، ثالثاً خانقاه لإقامة الصوفية .

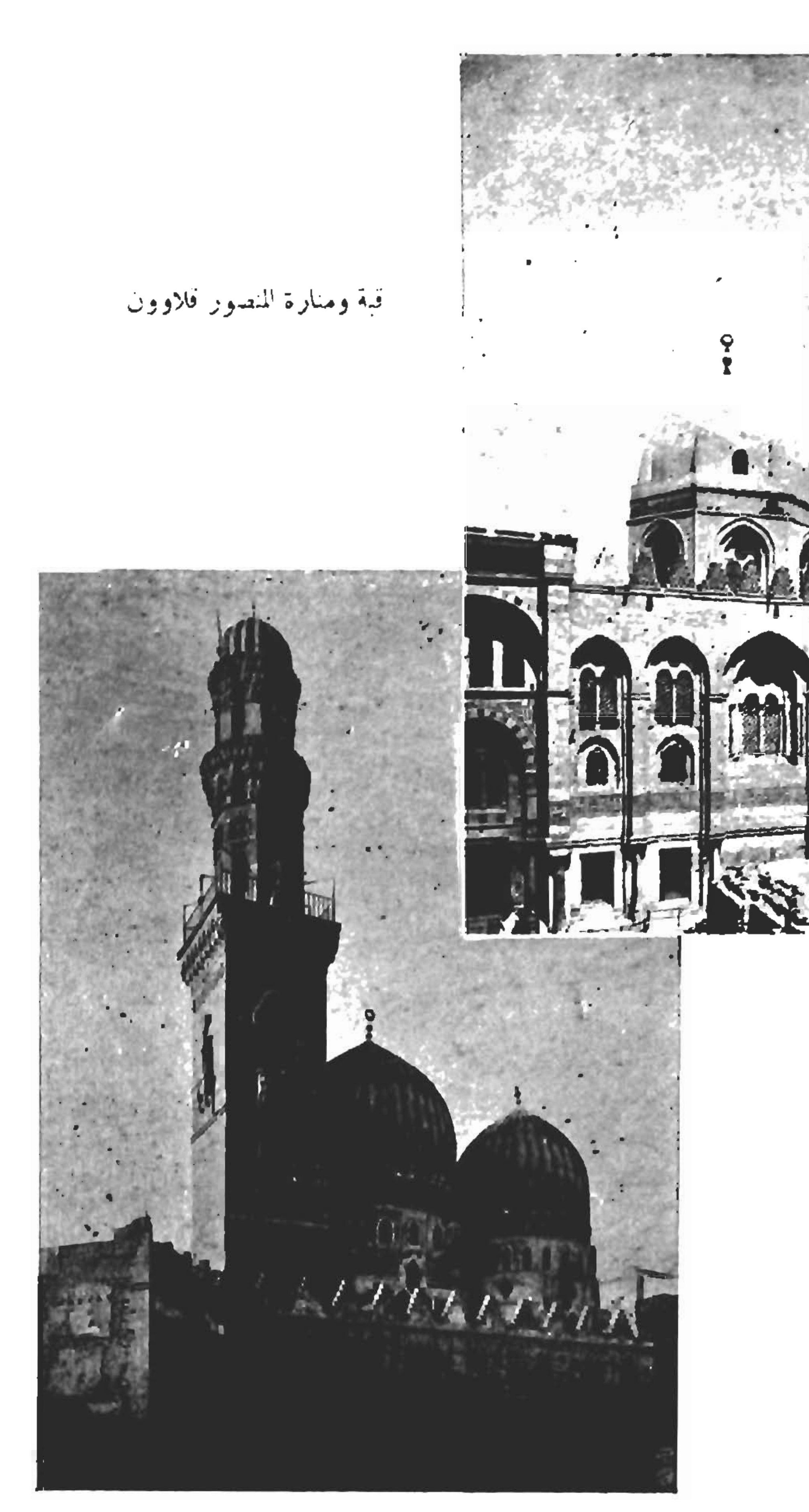
وكان البدء فى إنشائها سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨م) والفراغ منها فى نهاية سنة ٨١٣ هـ (١٤١٠م) ، وقد برهن مهندسها على عبقريته ومقدرته الفنية ، فإنه جال ببصره بين آثار القاهرة وأخذ من كل بستان زهرة ، فاقتبس فكرة تصميم وجهته الشرقية من الوجهة الشرقية لجامع الحاكم بأمر الله ، فكلاهما ينتهى طرفاه بقبتين تتوسطهما ثالثة فوق المحراب ، كما أقام على جداره الغربى منارتين مثيلتين لما فى جامع الحاكم أيضاً ، ثم اتجه صوب مدرسة أم السلطان شعبان فاقتبس منها نجارة الأحجبة الخشبية على وجه القبتين ، و بمناسبة القبتين أوجه النظر إلى نقوش سطحهما التى تعتبر ثانى خطوة فى زخرفة القباب من الخارج ، وتوفرت فيهما مميزات أهمها رقة سمك أحجارها والنقوش الموجودة بداخلهما ، أما المنبر فهو أجمل منبر حجرى أقيم فى المساجد ولا نظير له فى دقة نقوشه ، وأمر بعمله السلطان قايتباى سنة ٨٨٨ هـ (١٤٨٣ م) .

ولعل الكثيرين لا يعرفون أن الصورة المرسومة على الجنيه المصرى هى للوجهة الغربية لداخل هذه الخانقاه .

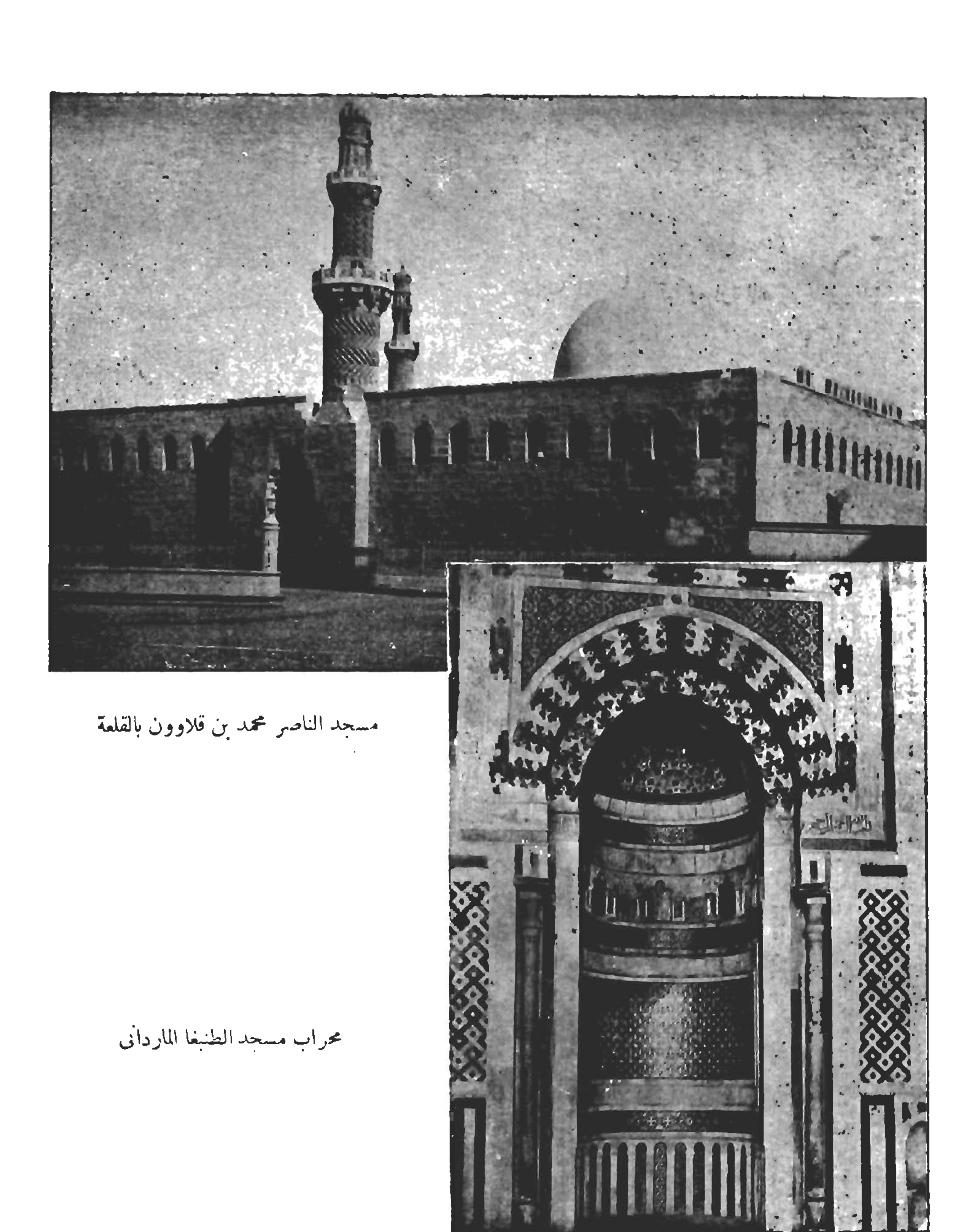
مسجد المؤيد شيخ — بشارع السكرية

بدأ فى إنشائه الملك المؤيد شيخ المحمودى سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥ م) . وهو فخر المساجد فى دولة

قبة ومنارة المنصور قلاوون



وجهة الخانقاه الجاولية



مسجد الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة

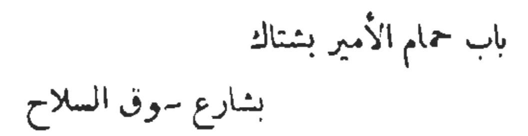
محراب مسجد الطنبغا الماردانى



باب قصر الأمير قوصون

(يشبك من مهدى)



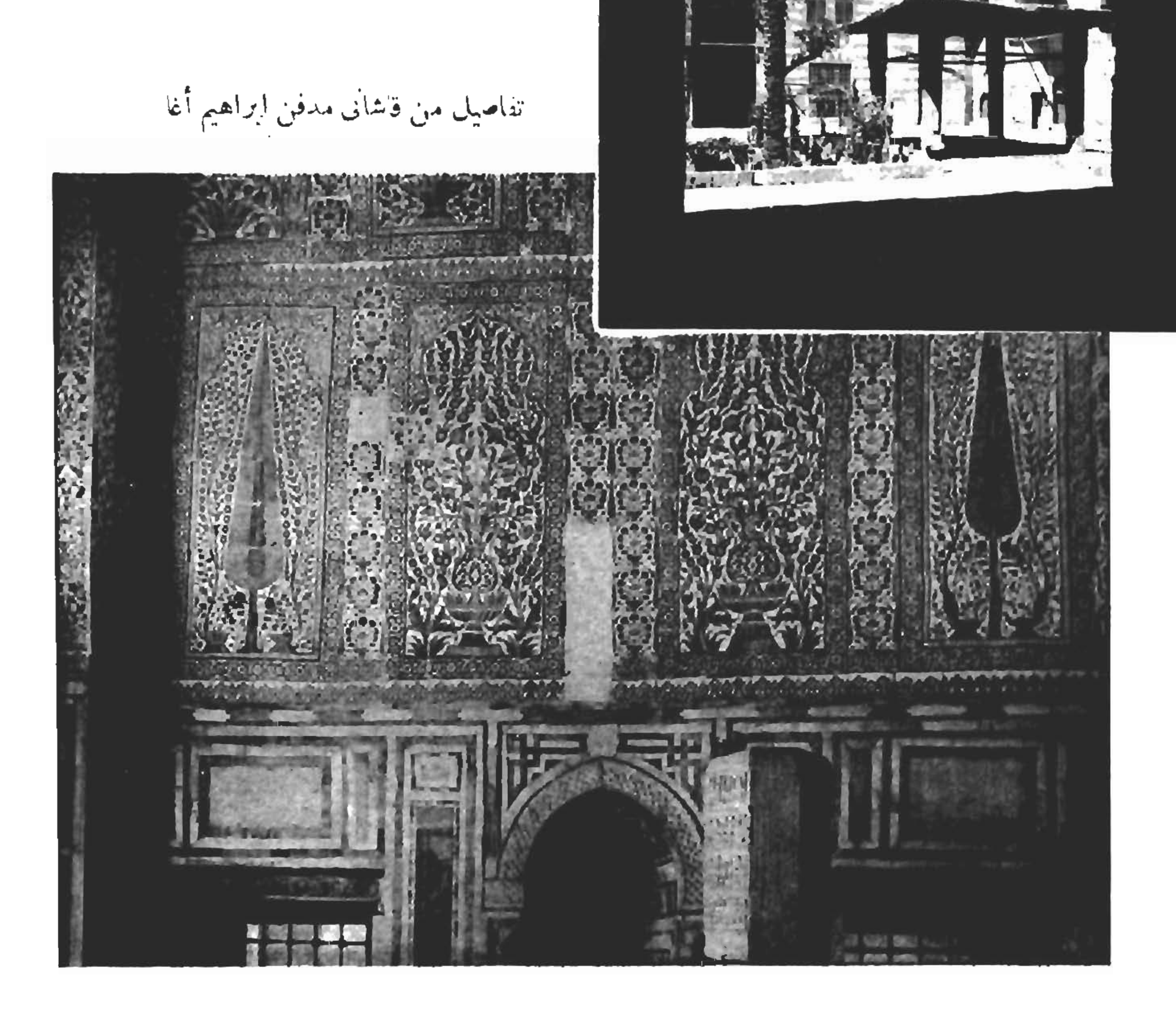


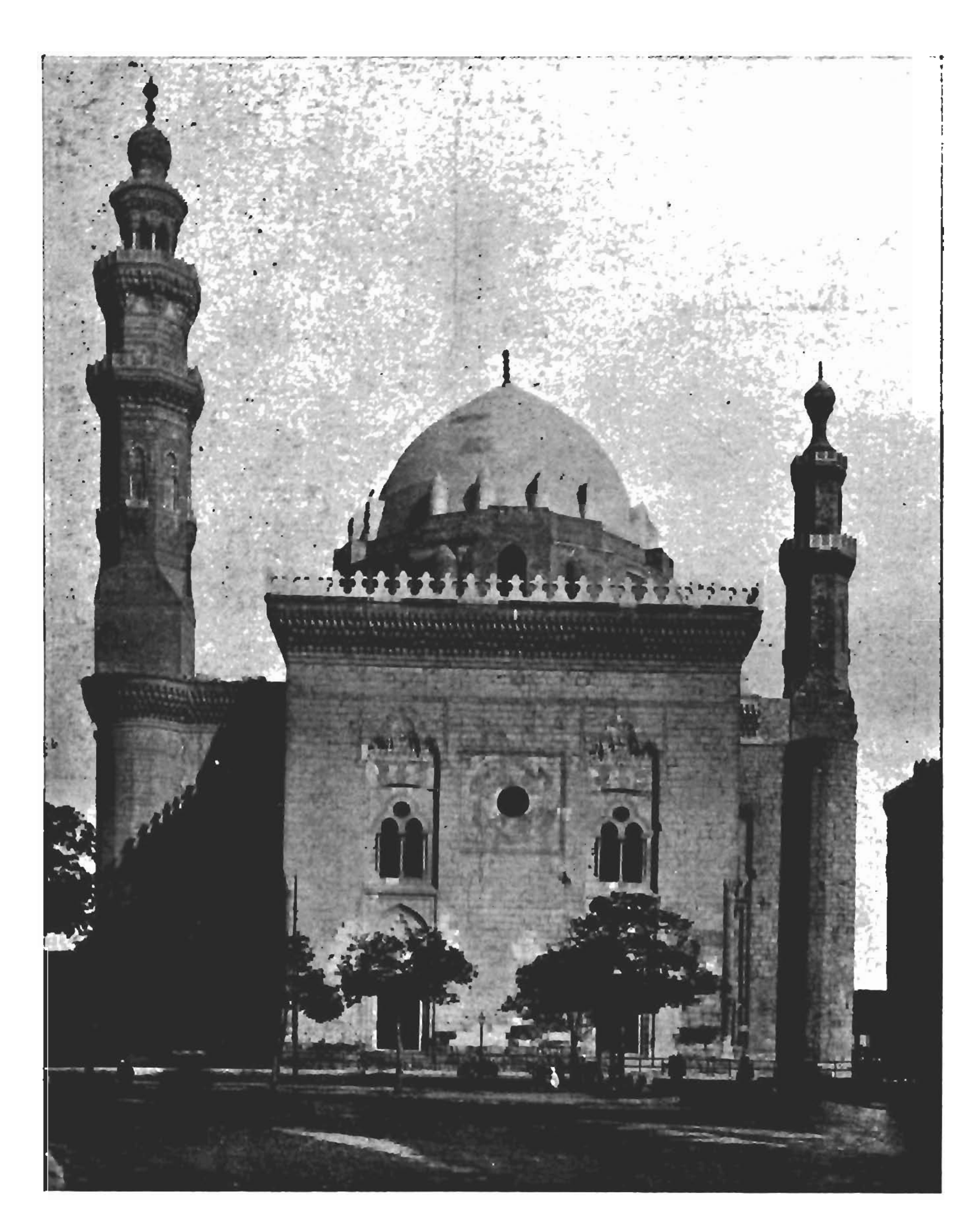
باب حمام الأمير بشتاك

بشارع سوق السلاح

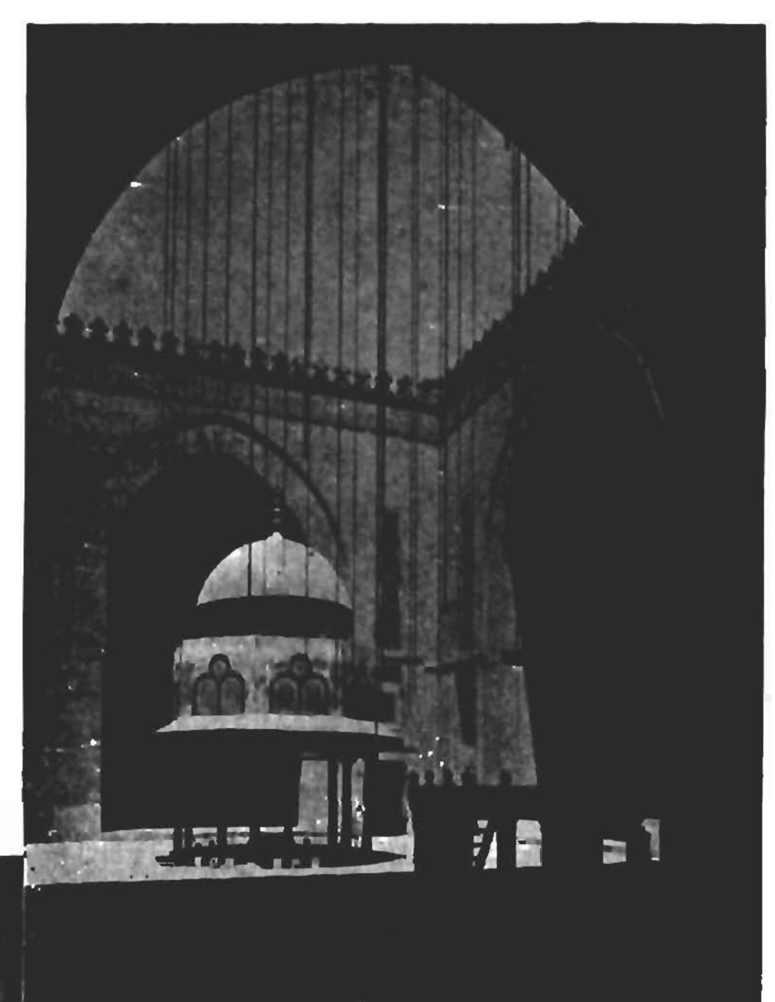
داخل جامع آق سنقر
(ابراهيم أغا)

تفاصيل من قاشاني مدفن ابراهيم أغا

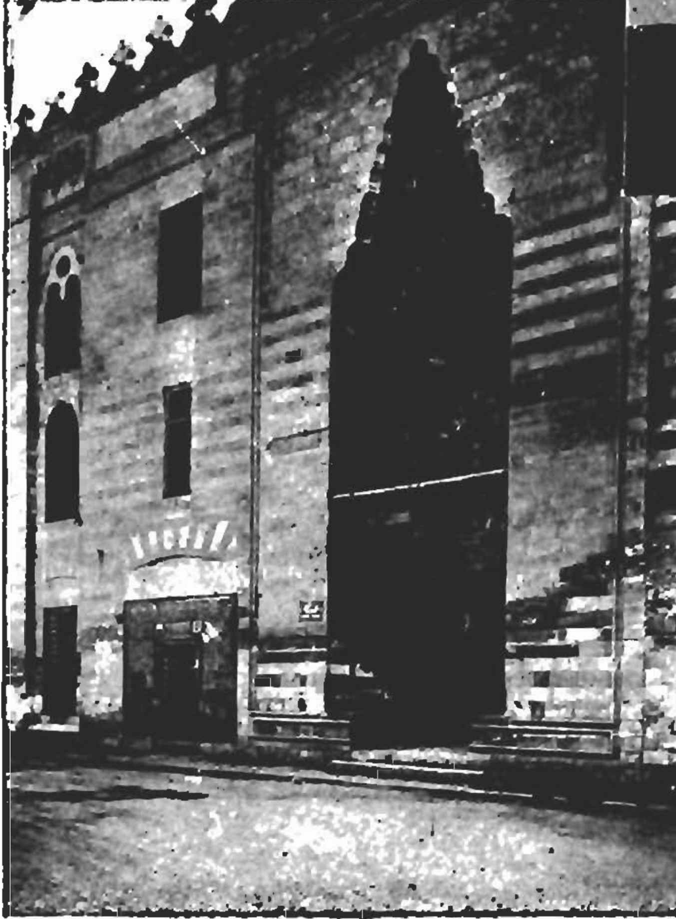




مدرسة السلطان حسن

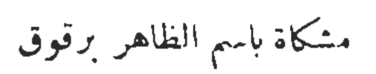


داخل مدرسة السلطان حسن

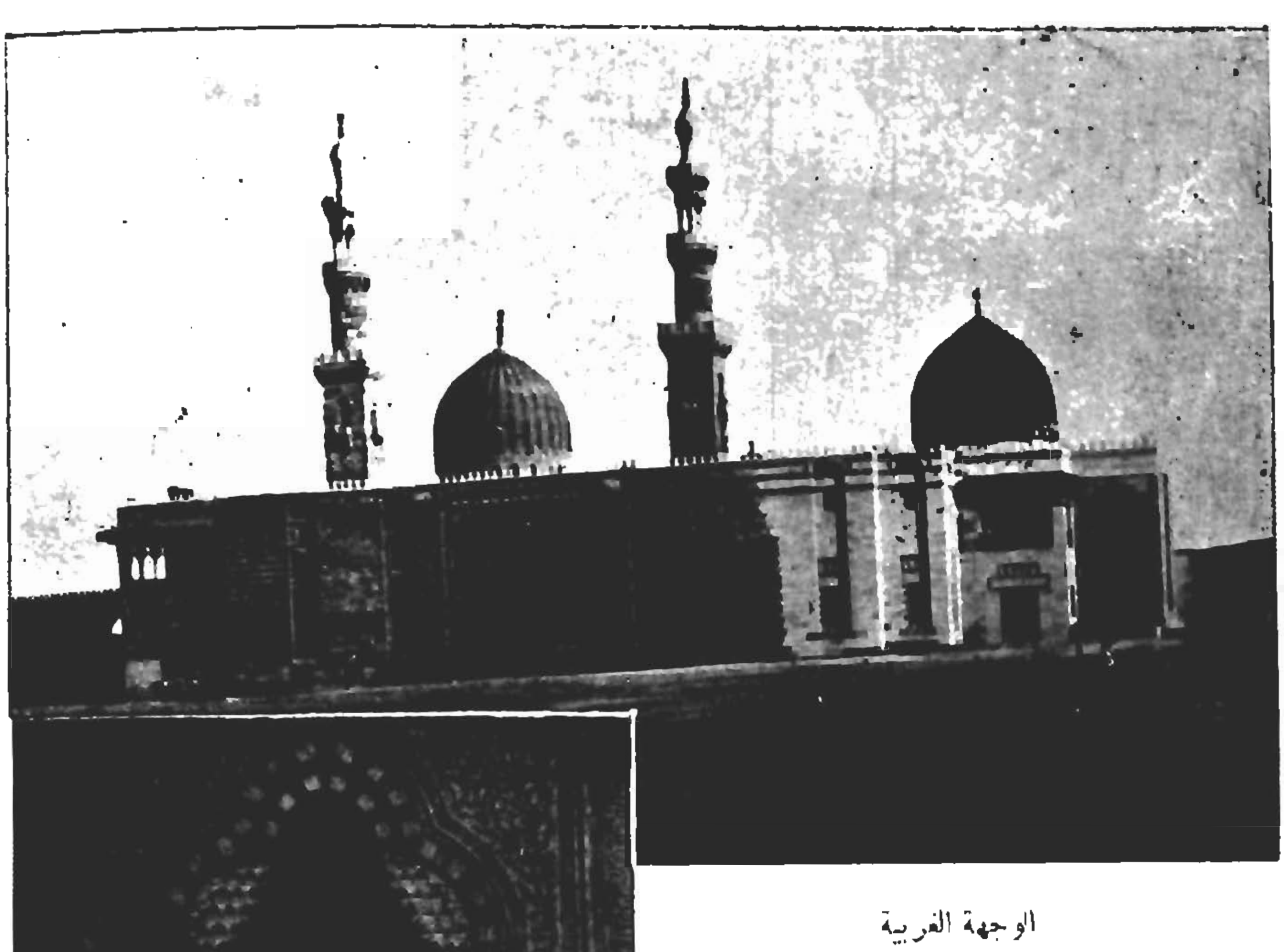


وجهة مدرسة أم السلطان شعبان

الوجهة الشرقية
لمدرسة وخانقاه الظاهر برقوق



مشكاة باسم الظاهر برقوق



الوجهة الغربية
لخانقاه الناصر فرج بن برقوق

باب جامع المؤيد شيخ المحمودى

المماليك الجراكسة ، وكان المؤيد مُعنى به ومتعجلا الفراغ منه حتى إنه احتفل بافتتاحه سنة ٨٢٢ هـ (١٤١٩ م) . ولم يكمل بعد ، ويؤخذ عليه نقله مصراعى باب مدرسة السلطان حسن وتركيبهما فى مسجده ، وما زالا حتى الآن وعليهما اسم السلطان حسن .

وفى الإيوان الشرقى تتجلى بدائع الفن . فالزخرف يغمر هذا الإيوان من الأرض إلى السقف ، وقد انتهز مهندسه فرصة وجود باب زويلة بجوار المسجد فاتخذ من بدنتيه قاعدتين لمنارتيه ، وهو اعتداء صارخ فى نظر الأثريين ، ولكنه كان موفقاً فيه كل التوفيق .

مدرسة الأشرف برسباى — بالأشرفية

أنشأها الملك الأشرف برسباى الدقماق وانتهت عمارتها سنة ٨٢٩ هـ (١٤٢٥ م) ، ولهذه المدرسة منارة رشيقة وقبة حليت بزخارف دالية ، وامتازت بدقة وجمال أرضيتها الرخامية ومنبرها المطعم بالسن وسقف إيوانها الغربى المحلى بالنقوش المذهبة .

خانقاه الأشرف برسباى — بالقرافة الشرقية

ومن إنشائه خانقاه بالقرافة الشرقية سنة ٨٣٥ هـ (١٤٣٢ م) ، وألحق بها مصلّى وقبة له ، ويسترعى النظر فى المصلى والقبة جمال الأرضيات والوزرات الرخامية التى لانظير لها ، أما المنبر فإنه منقول من مسجد الغمرى ؛ وهو منبر قيّم طعمت حشواته بالسن والزرنشان والأويمة برسوم ميزته على كثير من المنابر المعاصرة له . وترجع صناعته إلى حوالى سنة ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م) وصانعه هو النجار الماهر أحمد ابن عيسى بن احمد الدمياطى .

مسجد قايتباى — بالقرافة الشرقية

أنشأه الملك الأشرف ابو النصر قايتباى المحمودى سنة ٨٧٩هـ (١٤٧٤ م) ، وهو يكون مجموعة من مدرسة وملحقاتها وقبة وسبيل وكتاب ، والزائر لها يستهويه جمالها ورشاقتها ، فقد تنوّعت

رسوم الأرضيات الرخامية ورسوم السقوف ، وامتازت منارتها وقبتها بالرشاقة ودقة الزخرف ، ولا غرو فهى محط رحال زائرى مصر لأنها جمعت أرقى التفاصيل المعمارية التى وجدت فى دولة المماليك الجراكسة .

مدرسة قجماس الإسحاقى — بالدرب الأحمر

أنشأها الأمير قجماس الإسحاقى الذى كان أميراخور فى دولة الأشرف قايتباى ثم عين نائباً للشام ، وكان الفراغ من إنشائها سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) ، وهى من أكثر مدارس دولة المماليك الجراكسة زخرفاً ، بل وتعتبر نموذجاً كاملاً لمنشآت هذا العصر ، فهى غنية بمختلف الصناعات ، وجميع تفاصيلها منسجمة وتنتقل العين فيها من حسن إلى أحسن ، وامتاز محرابها بوجود اسم صانعه فيه بشكل زخرفى بما نصه — عمل عبد القادر النقاش — وسواء أكان هذا الصانع نقاشاً أم مرخماً فهو صانع ماهر ، وهو الذى قام أيضاً بأعمال النقش فى محراب وإيوان المدرسة المزهرية بحارة برجوان المنشأة سنة ٨٨٤ هـ (١٤٧٩ م) ، وهى أيضاً من طرائف العمارة الإسلامية .

مسجد قانى باى الرماح — بميدان صلاح الدين

أنشأه الأمير قانى باى قرا المعروف بالرماح ، وكان الفراغ من إنشائه سنة ٩٠٨هـ (١٥٠٢ م) ، ولم تستعمل فيه السقوف الخشبية عدا دركاة المدخل ، أما باقى الإيوانات فقد غطيت بعقود منوعة ، ويعم الزخرف أحجار هذا المسجد كما كان يعمها التذهيب ، كما أن قبته من النماذج القيمة التى تتجلى فيها عظمة القباب المملوكية ، وفى سنة ١٩٣٩ أعادت إدارة حفظ الآثار العربية بناء منارته المزدوجة الرأس طبقاً لأصلها .

مسجد الغورى — بشارع الغورية

أنشأه الملك الأشرف ابو النصر قانصوه الغورى سنة ٩٠٩ — ٩١٠ هـ (١٥٠٣ — ١٥٠٤ م) .

ولاشك فى أن هذا المسجد يعتبر تحفة هذا العصر ، فقد عنى به عناية بالغة ، كما أفرط فى زخرفته إفراطاً أخرجه من وقار المساجد إلى بهرجة القاعات ، مما حدا بالسلطان سليم أن يصفه حينما زاره بقوله : « هذه قاعة تاجر » .

وكما حرص مهندسه على التماثل والمضاهاة فى جميع أجزائه الداخلية ، فقد تعدى هذا التماثل إلى خارجه فأنشأ تجاهه مدرسة وقبة وسبيلاً وكتّاباً اتفقت معه طولا وعرضاً وزخرفاً ، فهيأ لمن يعبر بينهما فرصة المتعة بجو فنىّ يملأ النفس روعة وجلالاً .

- العصر العثمانى سنة ٩٢٣ — ١٢١٣ هـ (١٥١٧ — ١٧٩٨ م)

كان لسقوط دولة المماليك الجراكسة ، ودخول مصر فى حوزة الدولة العثمانية أثر كبير فى تأخر الفنون والعمارة ، فما إن تم للسلطان سليم الاستيلاء على مصر سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) حتى جمع مهندسيها وفنانيها وخيرة صناعها وأرسلهم إلى استامبول . وبذلك قضى على النشاط الفنىّ والصناعىّ فى مصر إلى حد كبير .

وبسبب تولى حكام أتراك نائبين عن السلطان فى الحكم ، أدخلت على العمارة أساليب جديدة لم تكن مألوفة بمصر . وأنشئت مساجد تظهر لأول مرة بطرزها وزخارفها أذكر منها :

- مسجد سليمان باشا — بالقلعة

هذا المسجد من المساجد التى كانت قائمة قبل إنشاء القلعة شيده الأمير المرتضى أبو المنصور قسطه الآمرى سنة ٥٣٥ هـ (١١٤١ م) ، وفى سنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٨ م) جدد إنشاءه سليمان باشا الخادم الذى عين والياً على مصر سنة ٩٣٢ هـ (١٥٢٦ م) . ويعتبر هذا المسجد أول المساجد التى أنشئت على الطرز العثمانى البحت ، فهو مقسم إلى قسمين : الشرقى المعد للصلاة وتغطيه قبة كبيرة يحيط بها أنصاف قباب نقشت من الداخل بنقوش دقيقة ملونة ، وكتبت بها آيات من القرآن بخطوط متنوعة

بأشكال زخرفية ، وكانت مكسوة من الخارج بقاشانى أخضر . والقسم الثانى صحن مكشوف تحيط به أروقة مغطاة بقباب صغيرة .

مسجد سنان باشا — ببولاق

أنشأه سنان باشا والى مصر سنة ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م) ، ويتكون من قبة كبيرة لها ثلاثة أبواب تؤدى إلى ثلاثة أروقة يتألف سقفها من قبوات صغيرة محمولة على عقود ترتكز على أعمدة من الرخام أمام وجهاته الغربية والبحرية والقبلية .

مسجد الملكة صفية — بشارع محمد على

عرف هذا المسجد بالملكة صفية زوجة السلطان مراد الثالث ووالدة السلطان محمد خان الثالث ، وهى فينيسيّة الأصل ، ومنشئه هو عثمان أغا بن عبد الله مملوكها ، ووقف عليه أراضى وعقارات آلت مع المسجد بطريق شرعى إلى سيدته الملكة صفية، فأمرت بإتمامه ونقش لوحة تاريخية باسمها مؤرخة سنة ١٠١٩ هـ (١٦١٠م) وتصميمه مثل تصميم مسجد سليمان باشا إلا أنه أقل منه زخرفاً مع اختلاف فى التفاصيل . وامتاز هذا المسجد بالسلم المستدير أمام وجهاته .

مسجد أبو الذهب — بشارع الأزهر

أنشأه الأمير الكبير محمد بك أبو الذهب سنة ١١٨٨ هـ (١٧٧٤ م) ، وألحق به تكية لمتصوفى الأتراك وسبيلا وحوضاً لشرب الدواب . وتصميمه مثل تصميم مسجد سنان باشا ، به قبة كبيرة لها ثلاثة أبواب تؤدى إلى ثلاثة أروقة معقودة أمام وجهاته الثلاث ، وامتازت منارته عن منارات عصرها بأنها مملوكية الطراز وأقرب إلى طرز منارة مسجد الغورى .

ويلاحظ أن هذا المسجد كان يغلب عليه الزخرف المذهب مما جعل المنشىء يستحق عن جدارة

تقيبه بأبى الذهب ، وبه نكتفى من سلسلة المساجد العثمانية البحتة وننتقل إلى أجمل مسجد أنشىء فى العصر العثمانى .

مسجد البردينى — بشارع الداودية

أنشأه كريم الدين احمد البردينى سنة ١٠٢٥ هـ (١٦١٦ م) ، وانتهت منارته سنة ١٠٣٨ هـ (١٦٢٨ م) . وهو وإن أنشىء فى العصر العثمانى إلا أن تفاصيله جميع مقتبسة من تفاصيل العمائر المملوكية . وهو صغير الحجم عبارة عن قاعة صغيرة أحيطت بوزرة رخامية دقيقة جداً . وله محراب رخامى دقيق ومنبر صغير مطعم بالصدف . وتمتاز أيضاً منارته بأنها مملوكية الطرز مما جعل هذا المسجد درة المساجد المنشأة فى العصر العثمانى .

وفى هذا العصر كثر إنشاء السبيل منفرداً يعلوه كتاب ، وأجمل هذه الأسبلة هو السبيل الذى أنشأه الأمير عبد الرحمن كتخدا بشارع بين القصرين سنة ١١٥٧ هـ (١٧٤٤ م) . ولم تقتصر أهمية هذا السبيل على تفاصيل وجهاته الغنية بالنقش فى الحجر و بتطعيم الرخام ، بل تعدته إلى داخله المكسو بالقاشانى المرسوم فيه صورة الكعبة الشريفة .

وتخلف من العصر العثمانى مجموعة من المنازل كاملة وغنية بشتى الفنون ، أذكر منها :

منزل الكريدلية — بميدان أحمد بن طولون

أنشأ هذا المنزل الحاج محمد سالم بن جلمام الجزار سنة ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م) . وهو فى طريقة بنائه كباقى منازل القرن الحادى عشر من حيث التصميم واشتماله على مقعد يشرف على الحوش وقاعات علوية ، وامتاز عليها بمميزات هامة ؛ منها اشتمال وجهاته المطلة على الحوش على مجموعة من العقود تنوعت أشكالها ومقرنصاتها ؛ ومنها إلحاق سبيل كبير بناصيته الشرقية القبلية ميزته على بقية المنازل بمصر .

ويقابل هذا المنزل منزل آخر عرف بمنزل آمنة بنت سالم يربطه بالأول من أعلى ساباط (كوبرى) محمول على عقد ستينى يظهر من خلفه الباب الشرقى للجامع الطولونى وزيادته البحرية المنتهية بمئذنة مسجد صرغتمش المنشأ سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦ م).

وهذا المنزل أنشأه المعلم عبد القادر الحداد سنة ٩٤٧هـ (١٥٤٠م)، ويشتمل على قاعة غنية بنقوش سقفها المجددة، وبالفسقية الدقيقة المنقولة إليها، وقد تسلم هذين المنزلين المرحوم جاير اندرسون باشا سنة ١٩٣٥م، وأقام بهما وعنى بتنسيق مجموعاته الأثرية فيهما بذوق سليم. وهى مجاميع مختلفة جمعت شتى الطرف والأثاث من عربية وفارسية وتركية مع مجموعة من السجاد والأكلمة ذات الألوان الزاهية، كما ألحق به مكتبة قيمة.

وفى سنة ١٩٤٢ م غادر مصر وترك هذه المجموعة هبة للحكومة المصرية فعنيت بها وحولت الدارين إلى متحف أطلقت عليه «متحف جاير اندرسون باشا».

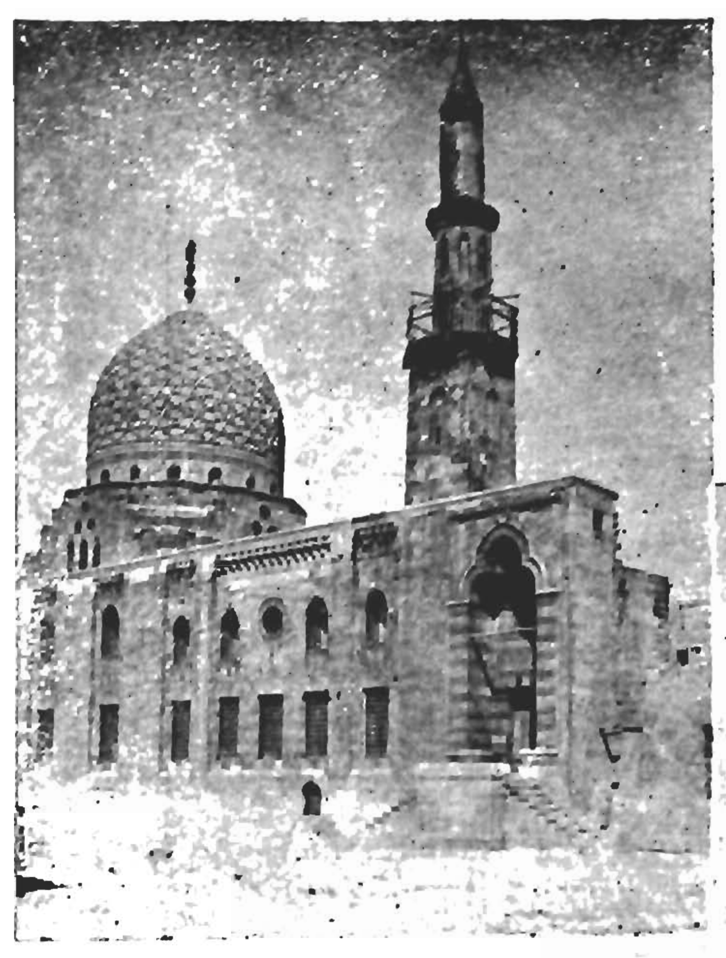
وقد أنعم عليه حضرة صاحب الجلالة الملك برتبة الباشوية فى شهر مارس سنة ١٩٤٣ تقديراً له على هبته الثمينة.

منزل جمال الدين الذهبى — بحارة خوشقدم

أنشأه الخواجا جمال الدين الذهبى شاه بندر التجار بمصر سنة ١٠٤٧ هـ (١٦٣٧ م)، وتمثلت فيه جميع تفاصيل الدور القديمة من مدخله المتعرج إلى مقعد يشرف على الحوش إلى قاعة علوية تعتبر أغنى قاعة فى الدور الأثرية.

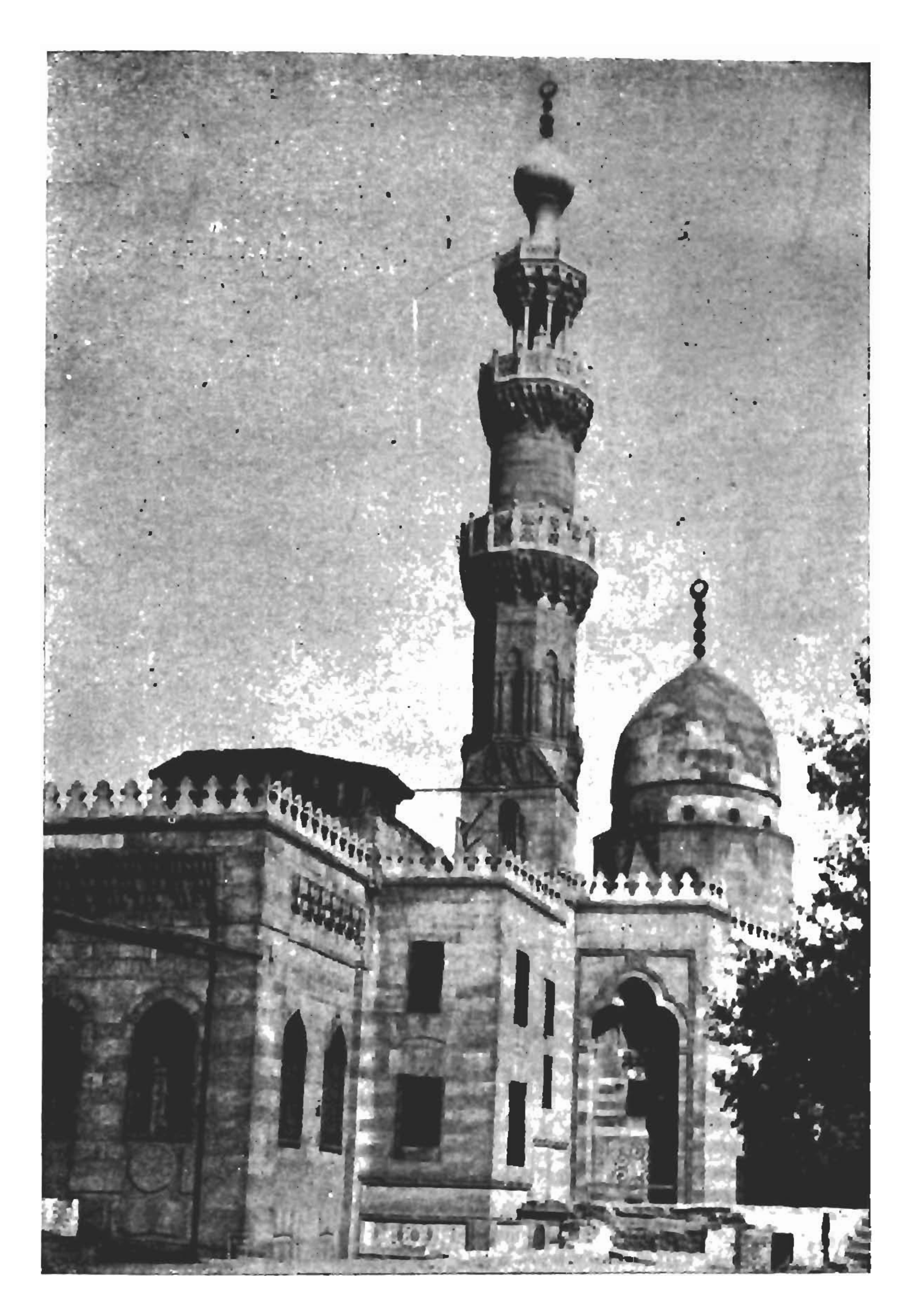
منزل السحيمى — بالدرب الأصفر بالجمالية

هذا المنزل مقسم إلى قسمين: أحدهما وهو القبلى أنشأه الشيخ عبد الوهاب الطبلاوى سنة ١٠٥٨ هـ (١٦٤٨ م)، ويشمل المقعد والقاعة أسفله والقاعة الشرقية القبلية والقسم الآخر، وهو

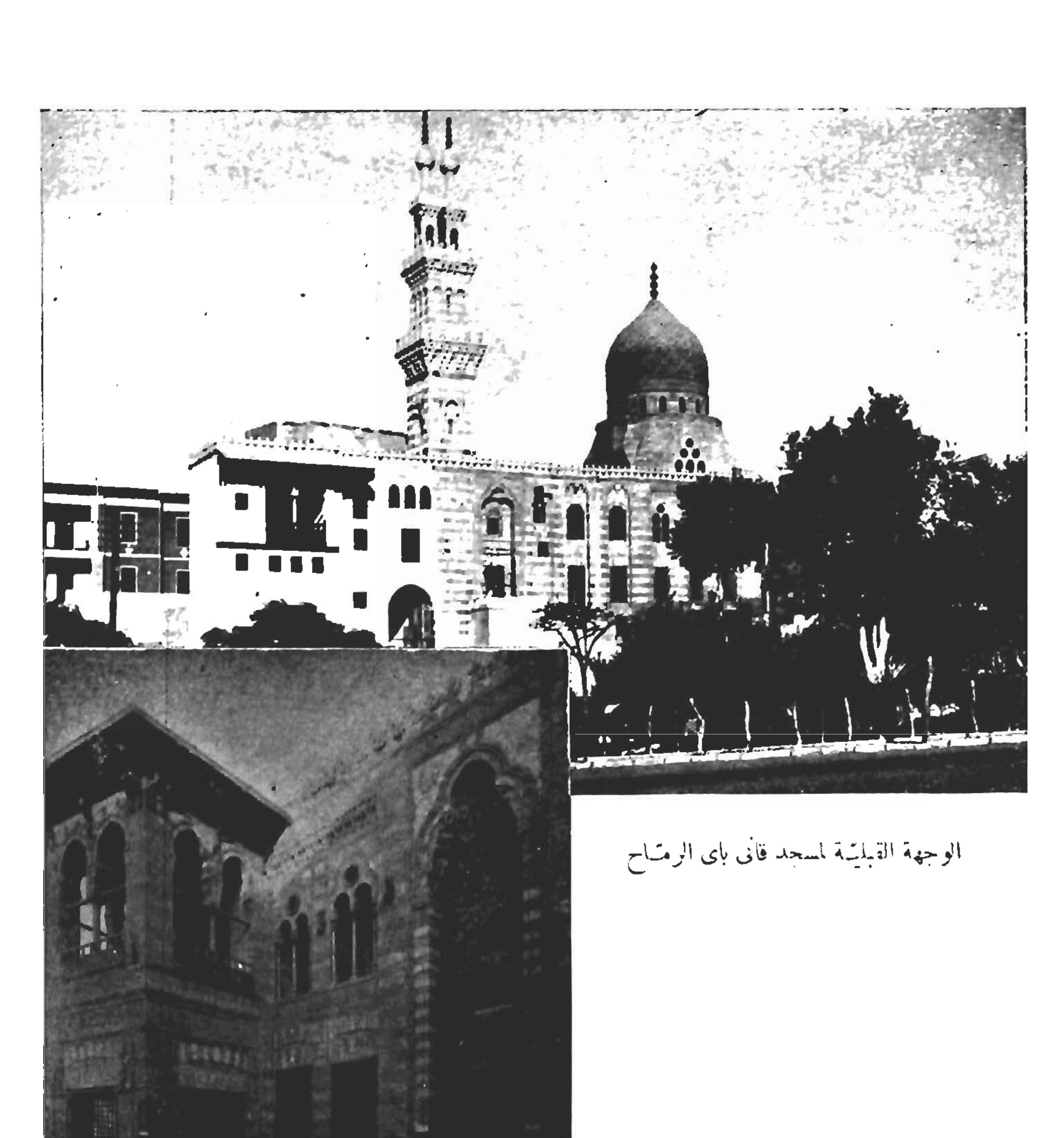


الوجهة الغربية لخانقاه الأشرف برسباى

مسجد السلطان قيتباى
بالقرافة الشرقية

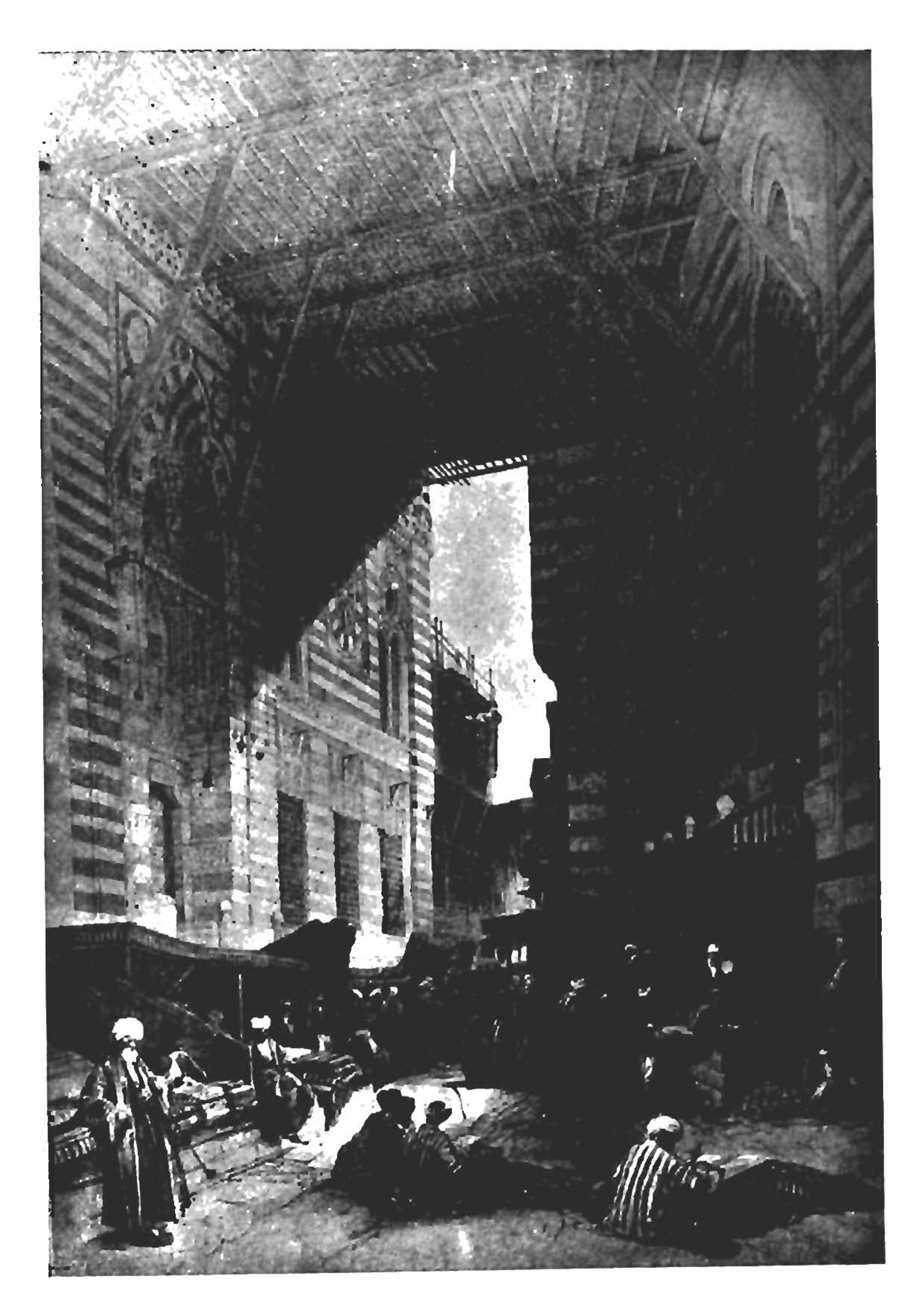


مدرسة قجماس الإسحاقي



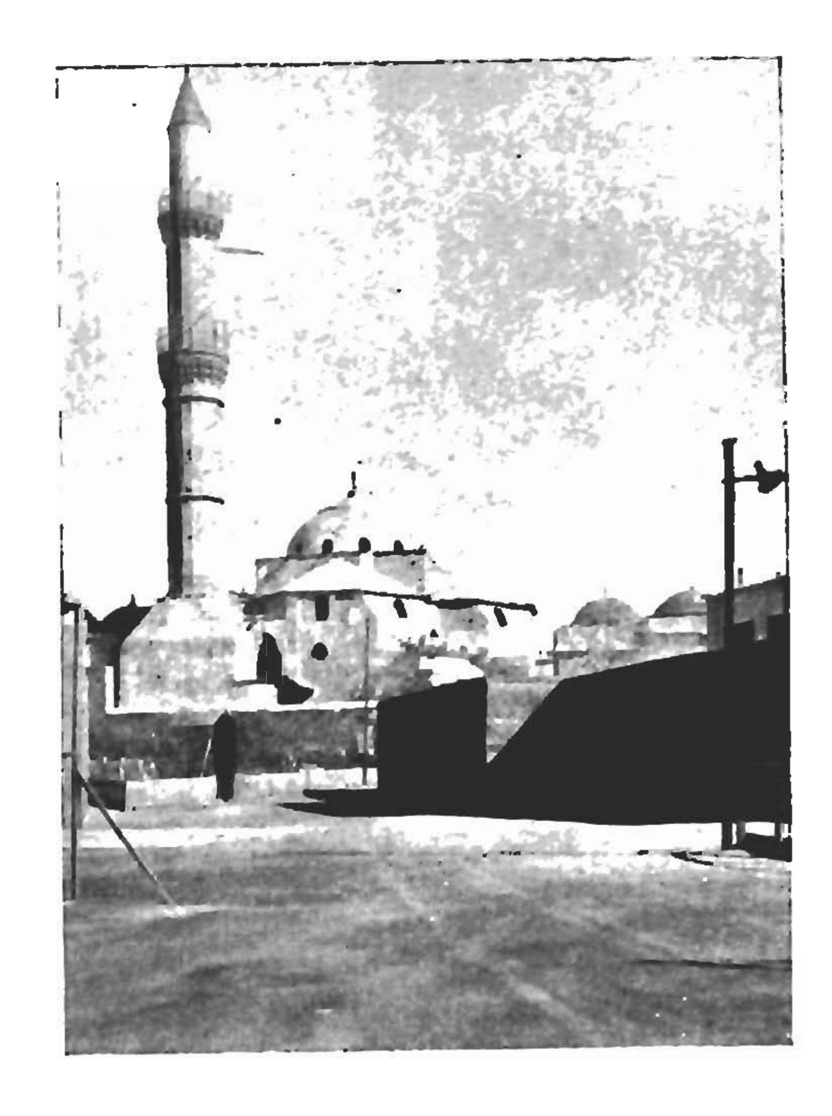
الوجهة القبلية لمسجد قانى باى الرماح

وجهة قبة وسبيل
السلطان قانصوه الغورى

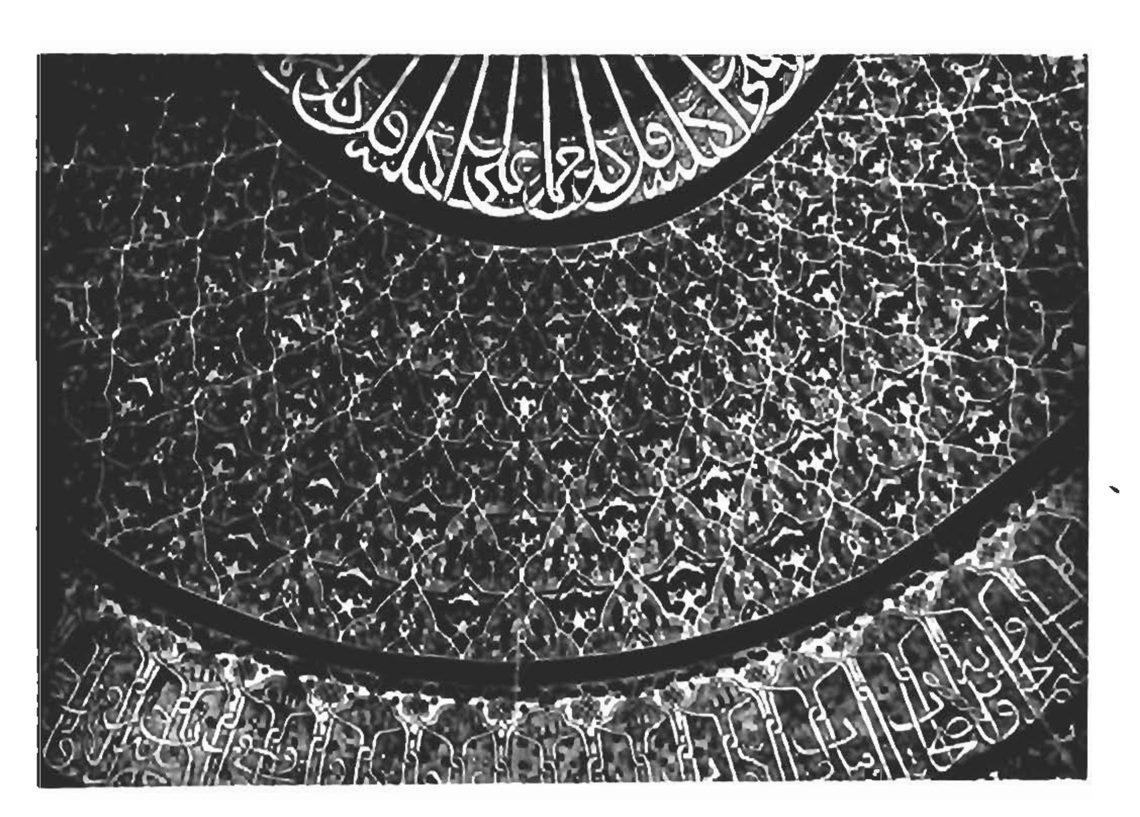


مسجد وقبة السلطان الغوري تجمعهما السقيفة

(عن دافيد روبرت)



مسجد سليمان باشا الخادم بداخل القلعة



تفاصيل من زخارف القبة الكبيرة بمسجد سليمان باشا الخادم

الوجهة القبلية لمسجد الملكة صفية

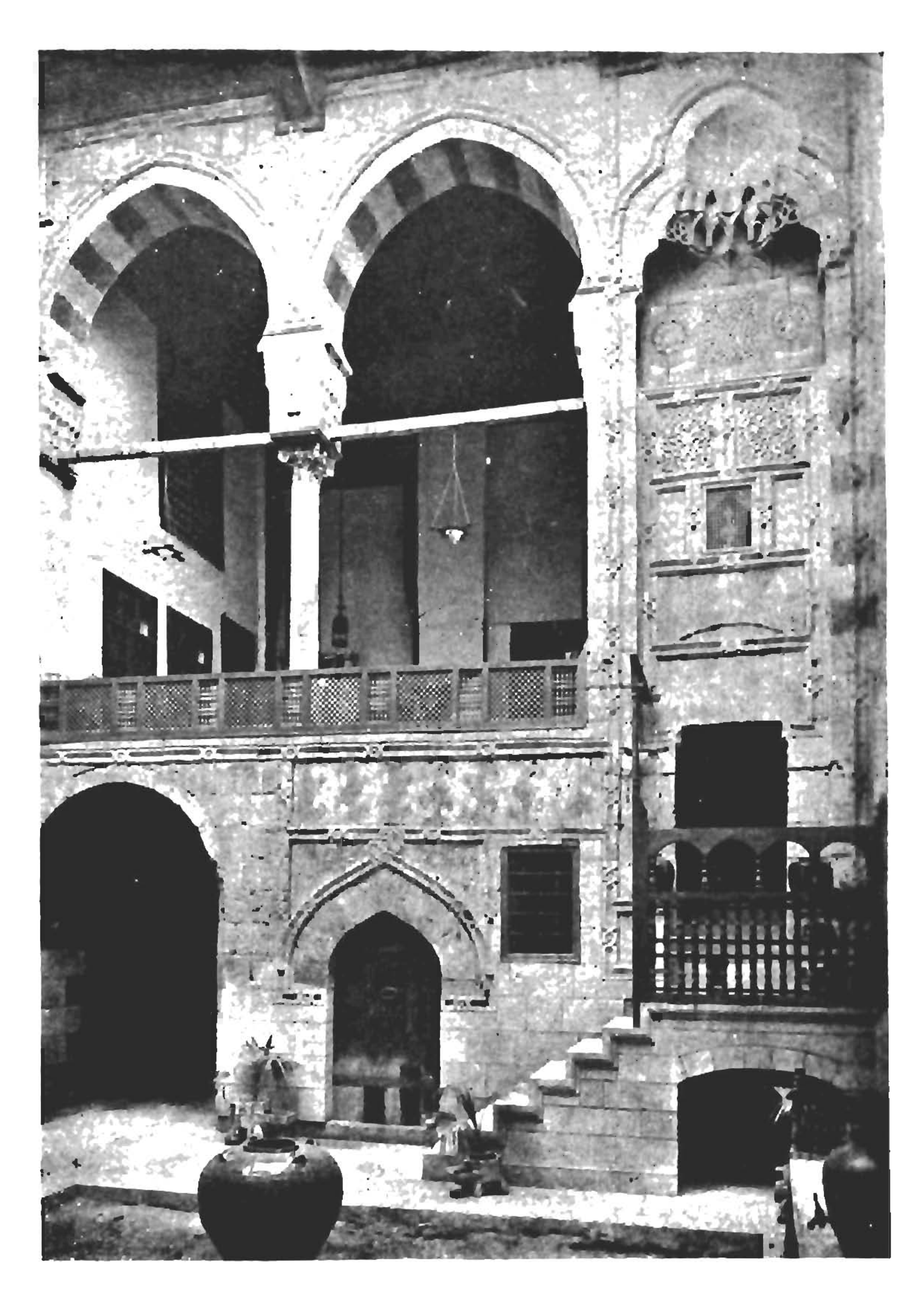


مسجد محمد بك أبو الذهب

داخل مسجد البردينى



تفاصيل من القاشانى بداخل سبيل
عبد الرحمن كتخدا



مقعد بداخل منزل الكريدلية

البحرى أنشأه الحاج اسماعيل بن الحاج اسماعيل شلبى سنة ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م) ، وربطه بالقسم الأول ، وهذا القسم غنىّ بزخارفه وخاصة القاعة الغربية ذات الفسقية الدقيقة ، والقاعة العلوية البحرية المكسوة جدرانها بمجموعة قيمة من القاشانى .

وعرف المنزل بالسحيمى نسبة إلى آخر مالك له هو السيد محمد أمين السحيمى الذى كان شيخاً لرواق الأتراك بالأزهر .

آثار الأقاليم

وفى هذا العصر الذى رأينا فيه ذلك التنوع فى العمارة وتفاصيلها ودخول عناصر جديدة فيها . نجد العمارة اتخذت طريقاً آخر مكملا لعصر المماليك الجراكسة فى بلدان الوجهين البحرى والقبلى لا يمت بصلة إلى الطراز الذى كان سائداً فى مصر فى ذلك الوقت . بل وظلت تقتبس من طراز دولتى المماليك بشكل مبسط فى مواد البناء مع المحافظة عليه .

وفى بعض هذه البلاد ازدهر البناء بالطوب والتفنن فى نقشه ، وخاصة فى مدينة رشيد .

مدينة رشيد

ولمدينة رشيد مكانة عظيمة عند علماء الآثار للفنّين المصرى والإسلامى ، فعلماء الآثار المصرية مدينون بالفضل إلى حجر رشيد مفتاح اللغة المصرية القديمة ، وعلماء الآثار الإسلامية معجبون بطرز البناء فى منازلها . تلك المجموعة القيمة النادرة . وإلى الآن نرى فيها شوارع كاملة بمنازلها القديمة ، أهمها : شارع دهليز الملك وحارة الحاج يوسف وحارة بدر الدين وشارع الشيخ قنديل وحول مسجدى زغلول ودمقسيس . وكلها مجموعات لدور اشتملت على ثلاثة أو أربعة أدوار ، يرجع إنشاء غالبها إلى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الهجرى . هذا عدا مجموعة المساجد، ما بين معلقة وغير معلقة ، حفلت بشتى الصناعات ما بين بناء دقيق بالطوب الملون إلى قاشانى .

ولمنازل رشيد شهرة عظيمة ، فقد امتازت بتصميم خاص و بفن مخصوص ، وهو البناء بالطوب الملون .

وهذه المنازل مرتفعة و بناؤها بالطوب تتخلله ميد خشبية . وقد تنوعت أشغال الطوب الملون والكتابات الكوفية المربعة . هذا عدا أشغال النجارة الدقيقة ما بين خرط ، وجمع ، وتطعيم .

وامتازت الدور من الداخل بالدكك الخشبية الثابتة والدواليب المطعمة بالسن والصدف وأماكن الأغانى المتخذة من خشب الخرط والمطعم بالسن و بسلالمها المسحورة . وكسوة الجدران بالرخام والقاشانى . مثل الموجود فى منزل محارم بشارع دهليز الملك ، و بالصهاريج المتصلة بفوهات تصلها بالأدوار إلى السطح .

منزل الأماصيلى

ومن الدور الممتازة بها المنزل المعروف بمنزل الأماصيلى المنشأ سنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) ، وهو من أهم المنازل التى احتفظت بتفاصيلها العمارية ولم يطرأ عليها تغيير ، ويلفت النظر بابه العمومى بشغل الطوب الملون فيه والتجارة على وجه الدور الأراضى ومجموعة الأخشاب والمغانى بالدور العلوى .

منزل أحمد باشا الضى المنشأ سنة ١١٢١هـ (١٧٠٩م)

و يلفت النظر فيه سقف الحجرة المتخذ من الخشب المحلى بنقوش ملونة أعلى المدخل وأشغال الطوب المنجور الملون بمدخله . والسقف المعقود بالدور الثانى .

منزل المناديلى

ومن المنازل الكبيرة برشيد منزل المناديلى ، وهو من الدور المنشأة فى القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) . ولهذا المنزل وجهتان كبيرتان فيهما ماوردات محمولة على عمد ضخمة ، وحول الباب زخارف بالطوب الملون .

و به من الداخل دواليب مسحورة ، وحجرات نقشت سقوفها بالبوية بمناظر تمثل مراكب صيد ، وواجهة مسجد بمنارتيه .

المسجد العباسى

وقد تجلت صناعة الطوب الملون فى باب المسجد العباسى على النيل . وهو مسجد امتاز بجمال موقعه كما امتاز بدقة صناعته ، وقد أنشأه السيد محمد بك الطبوزاده سنة ١٢٢٤هـ (١٨٠٩م) وأجمل ما فيه باب القبة المتخذ من طوب دقيق ملون ، ومكتوب على بابه الخشبى اسم صانعه الحاج محمد البالى .

طابية قايتباى

ومن أهم الآثار القديمة الباقية فى رشيد طابية السلطان قايتباى التى أنشأها سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١م) وقد ظلت هذه الطابية تؤدى وظيفتها فى الذود عن رشيد إلى أن احتلها الفرنسيون سنة ١٧٩٨ ثم أجلاهم عنها الانجليز سنة ١٨٠١م .

وقد أجرى الفرنسيون بها ترميمات وأطلقوا عليها قلعة (جوليان) ، وفيها اكتشف مسيو بوشار أحد ضباط الحملة الفرنسية أثناء الحفر لترميم القلعة فى شهر أغسطس سنة ١٧٩٩ الحجر المشهور بحجر رشيد مفتاح اللغة المصرية القديمة .

وللجنة حفظ الآثار العربية أكبر الفضل فى صيانة منازل رشيد و إصلاحها.

عصر المغفور له محمد على باشا الكبير

كان لنظام الحكم فى عصر الولاة العثمانيين والبكوات أسوأ الأثر فى حالة مصر الفنية والأدبية والاقتصادية . فاضمحلت الصناعات والفنون والآداب ، وتأخرت الزراعة فقلت الثروة العامة .

ولما جاء محمد على باشا استطاع بحكمته وحسن سياسته أن يبعث فى مصر روحاً جديداً و ينهض

بها فى سنوات معدودات ، فشقت الترع ، وأصلحت الجسور ، وأنشئت المدارس والمصانع لشتى الصناعات ، وكان من أثر رعايته ونهضته هذه أن دبت الحياة فى مصر .

وإن مصر لتزدان بجملة منشآت عمارية تحمل اسمه الكريم فى نواحى القطر من مساجد وأسبلة ومصانع وحصون، إلى قصور فقناطر فدار محفوظات فدار ضرب . ودرتها مسجده العظيم الذى يضم جثمانه الطاهر فى القلعة ، ويشرف على القاهرة من عليائه ، فتقر عينه بما وصلت إليه من نهضة ومدنية فى عهد حفيده الفاروق .

مسجد محمد على — بالقلعة

كان الشروع فى إنشاء هذا المسجد سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) ، واستمر العمل بلا انقطاع حتى توفى محمد على إلى رحمة الله سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٨م) فدفن فى المقبرة التى أعدها لنفسه بداخل المسجد .

انتقل إلى رحمة الله ، وكان المسجد كاملاً عدا زخارفه فأتمها المرحوم عباس باشا الأول ، والمسجد فى مجموعه مستطيل ، وينقسم إلى قسمين : الشرقى منهما مربع الشكل ضلعه من الداخل ٤١ متراً تتوسطه قبة مرتفعة قطرها ٢١ متراً وارتفاعها ٥٢ متراً من مستوى أرضية المسجد . وكسيت جدرانه من أسفل برخام الألبستر، وحلى من أعلاه بزخارف ملونة، والقسم الثانى وهو الصحن تتوسطه فسقية الوضوء، وبمؤخره برج الساعة التى أهداها إلى محمد على لويس فيليب ملك فرنسا سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٥ م) .

وللمسجد منارتان رشيقتان بارتفاع ٨٤ متراً عن مستوى أرضية الصحن .

وموقع هذا المسجد من أجمل المواقع ؛ إذ يشرف على القاهرة بمنارتيه الرشيقتين وقبته الكبيرة ترمقه العيون من جميع نواحيها .

قصور محمد على

كان للمغفور له محمد على عدة قصور بالقلعة وغيرها ، وكانت على جانب عظيم من الأهمية مثل قصر شبرا الذى أنشأه بعد سنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) ، وألحق به بستاناً استورد له الزهور من مختلف

أنحاء العالم . وأنشأ فى وسطه كشك الفسقية الباقى إلى الآن ، وهو من أجمل وأغنى قصوره .

وقصر الحرم بداخل القلعة والذى أمر بإنشائه سنة ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧ م) ، وهو أكمل قصر من قصوره احتفظ بجميع نقوشه وتفاصيله .

أما الكشك المعروف (بقصر الجوهرة) فقد أمر بإنشائه سنة١٢٢٩هـ (١٨١٣م) وهو قبلى المسجد ، ويشرف على مصر والقاهرة ، وكان مخصصاً لاستقبالات محمد على ومقراً للحكم ، وجميع جدرانه وسقوفه منقوشة ، وعلى أعتاب أبواب حجراته نقشت صور الأسطول المصرى .

ومكتوب على مدخله : الله ولى التوفيق ، يامفتح الأبواب افتح لنا خير الباب .

و بفضل مولانا جلالة المليك أعيدت نقوش هذا القصر إلى أصلها وقد شمل برعايته بقية القصور القديمة وأمر بإصلاحها .

مسجد الرفاعى — بميدان صلاح الدين

هذا المسجد أمام مسجد السلطان حسن ، وهو أجمل مسجد أنشىء فى العصر الحديث ، أمرت بإنشائه المرحومة خوشيار هانم والدة المرحوم إسماعيل باشا سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩م) . وعرف بالرفاعى نسبة إلى الشيخ على أبو الشباك المدفون فيه ، وهو حفيد السيد احمد الرفاعى الكبير .

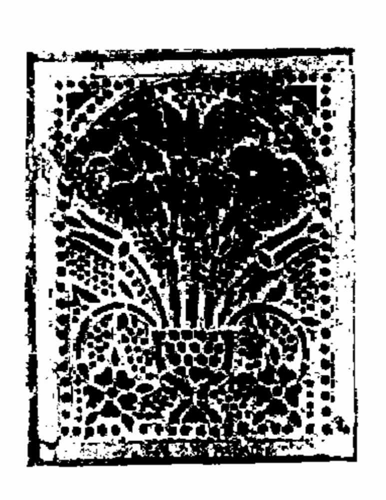
و بعد أن سارت العمارة شوطاً كبيراً أوقفت ثم استؤنفت ثانياً إلى أن تم واحتفل بافتتاحه فى غرة المحرم سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) .

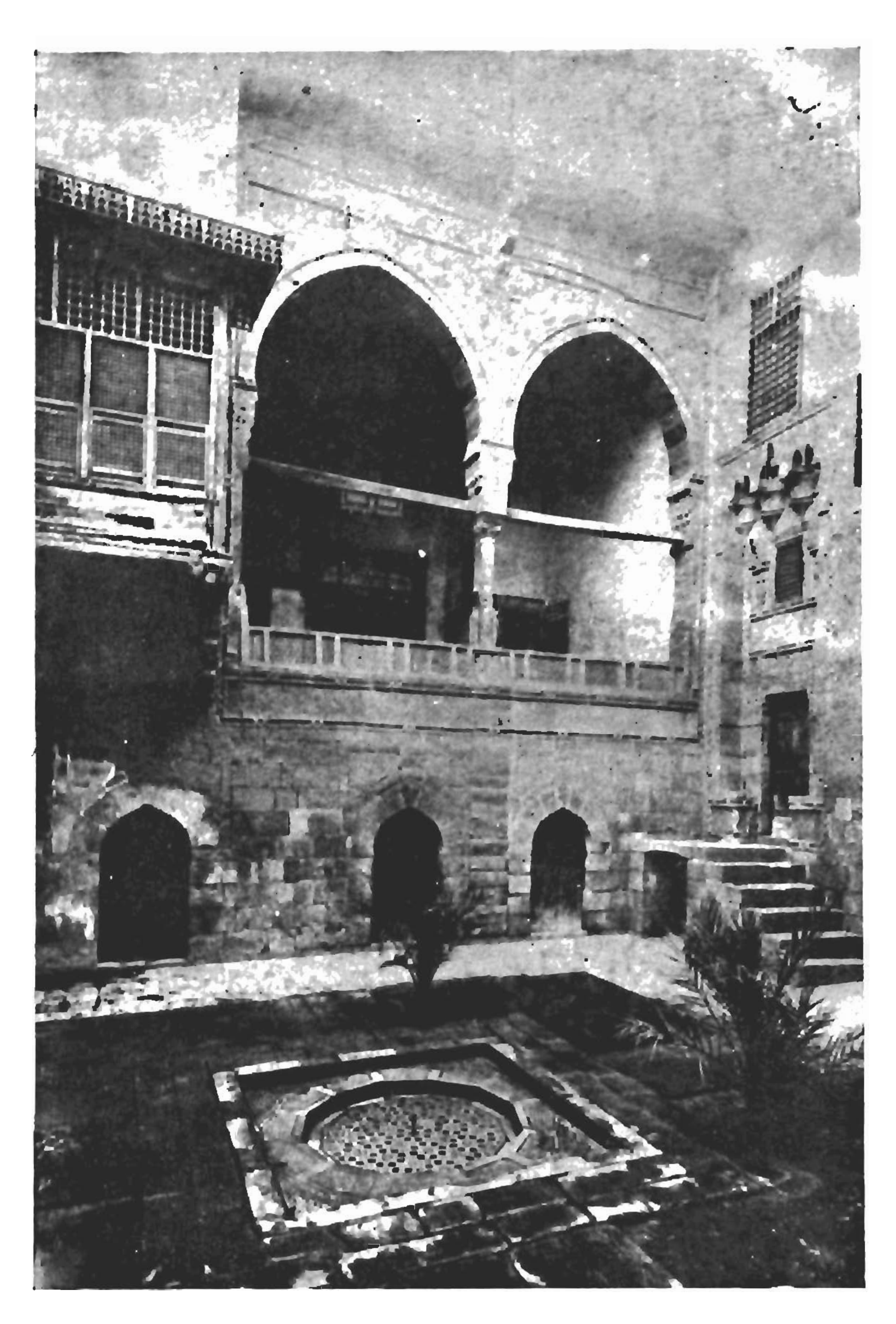
وقد أنشىء ليكون مسجداً جامعاً وليلحق به مدافن للمنشئة وأفراد أسرتها من البيت العلوى ، ولما توفيت سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٥ م) دفنت فيه . كما دفن فيه المغفور لهم الخديو إسماعيل وأولاده والسلطان حسين والملك فؤاد وغيرهم .

و إن الزائر لهذا المسجد ليؤخذ بما حواه من فنون جميلة ، وصناعات دقيقة ، وقد نجح مهندسه فى محاكاته لمسجد السلطان حسن فى ضخامته وارتفاعه ، واختار لزخارفه الداخلية من كل أثر أحسنه، حتى كوّن منه درة بين المساجد الحديثة .

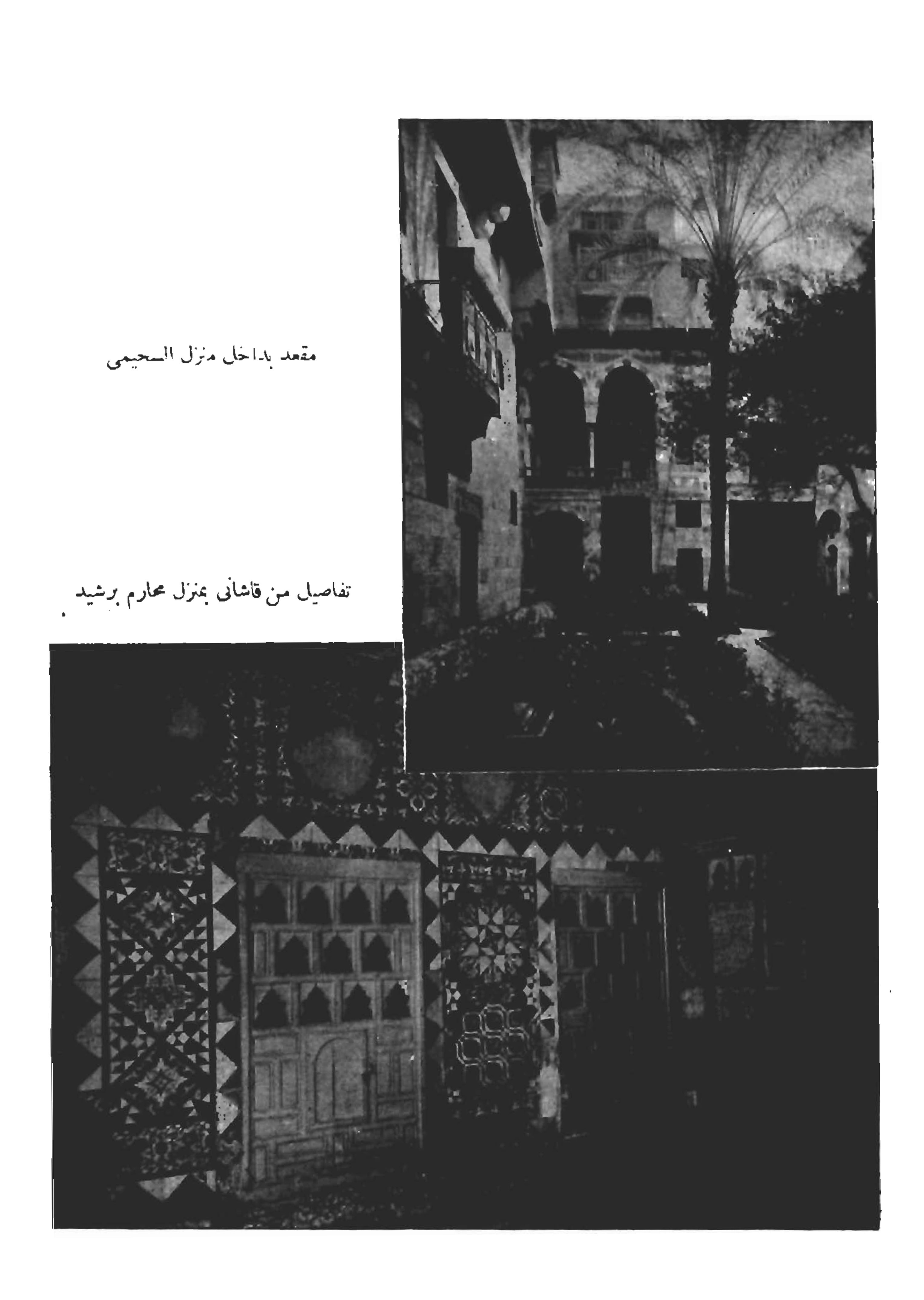
و إذا كان لمنشئ الآثار فى مختلف عصورها فضل تشييدها ، فللبيت العلوى الكريم فضل المحافظة عليها وصيانتها . فما من أثر من آثار مصر إلا ناله من هذا البيت إصلاح وتدعيم ، حتى أصبحت فى عهد « الفاروق » فخر الآثار الإسلامية وعنوان مجدها .

حفظ الله الملك المفدى ، وأعزّ به الإسلام ، وأعلى به منار الدين ؟





مقعد بداخل منزل جمال الدين الذهبي

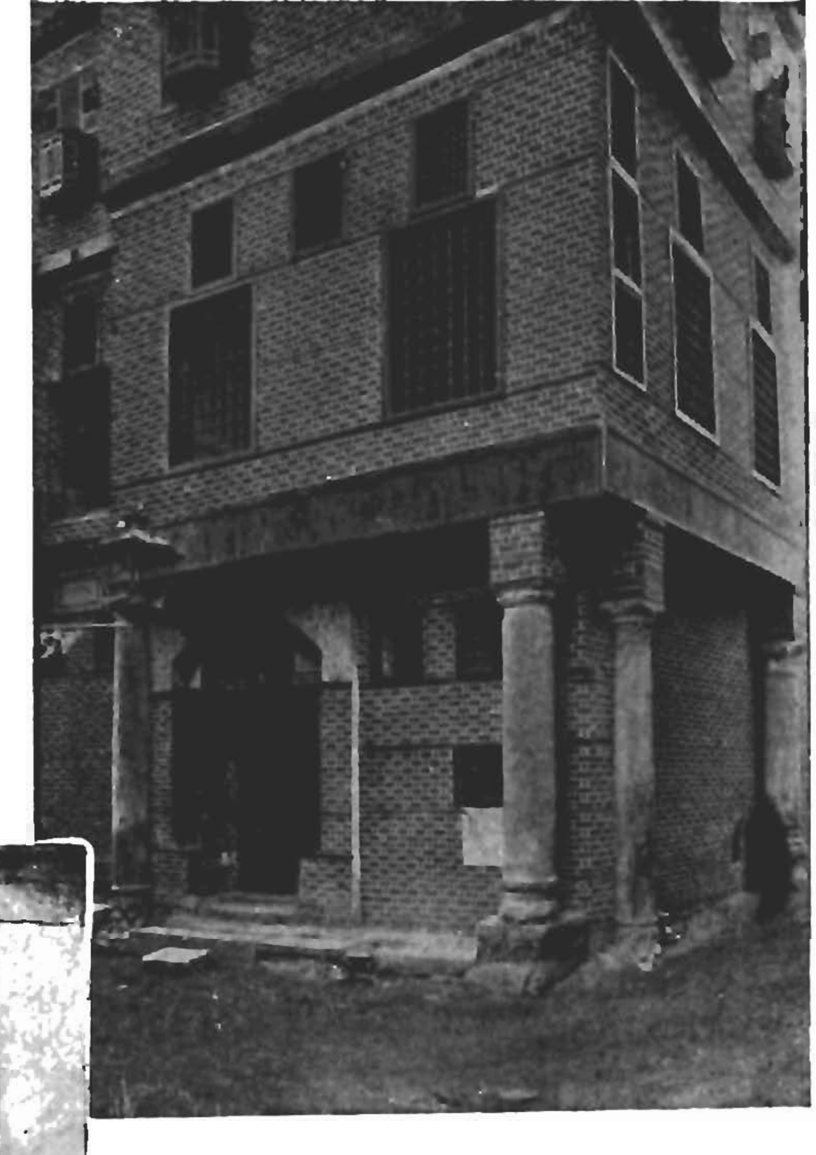


مقعد بداخل منزل السحيمي

تفاصيل من قاشاني بمنزل محارم برشيد

وجهة منزل أحمد باشا الضىّ برشيد

وجهة منزل الأمصيلي برشيد

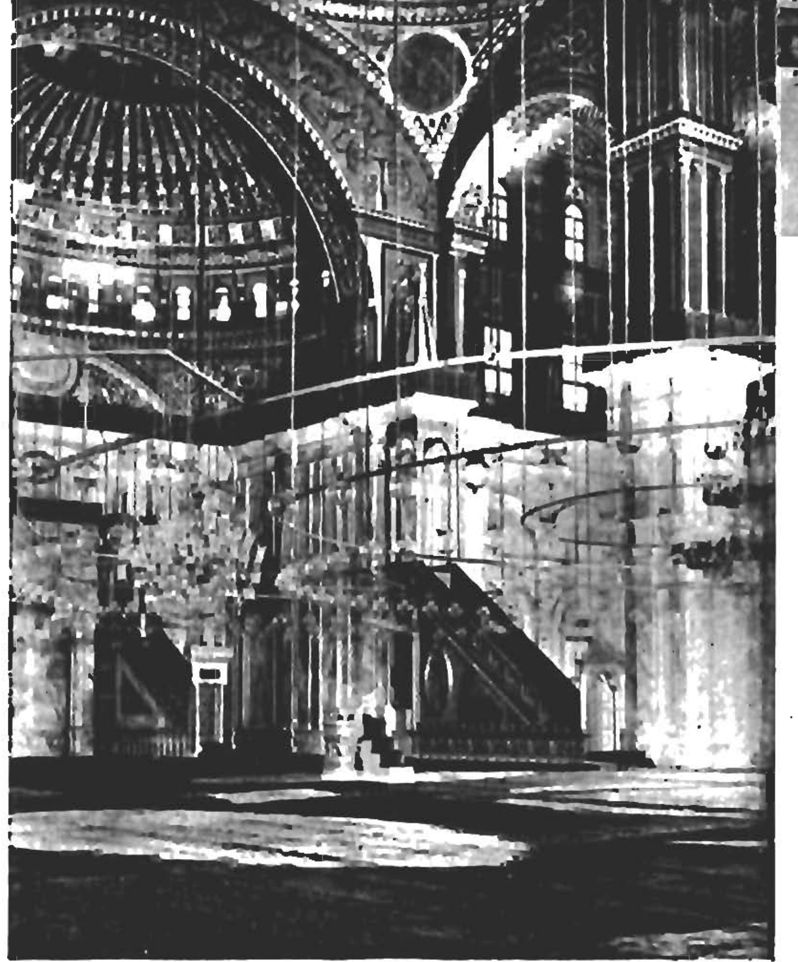


منزل المناديلي برشيد



باب القبة بالمسجد العباسي برشيد

مسجد محمد على باشا بالقلعة



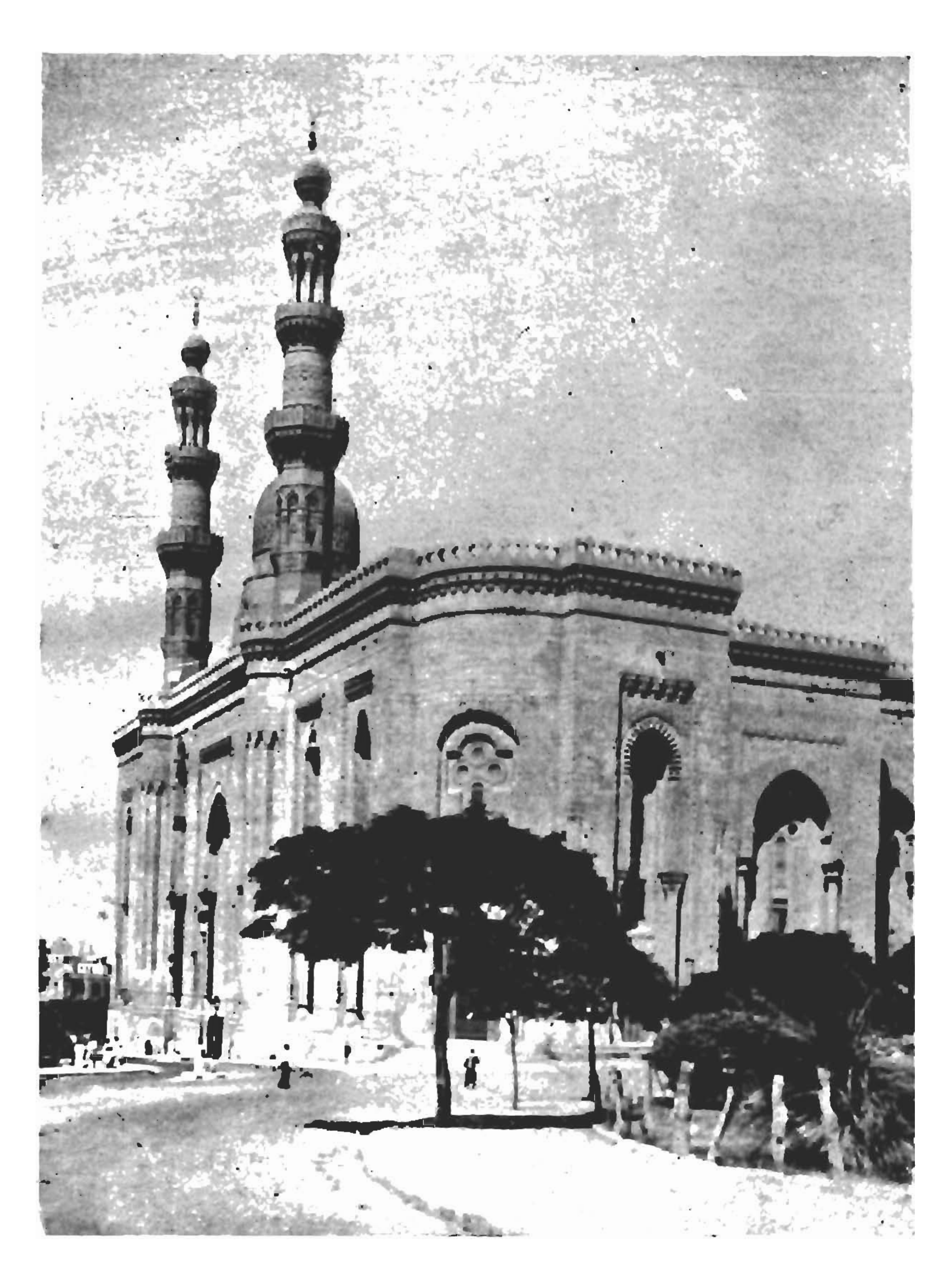
داخل مسجد محمد على باشا بالقلعة

الفسقية بقصر محمد على باشا بشبرا

وجهة قصر الحرم بداخل القلعة

داخل كوشك محمد على (قصر الجوهرة)

داخل مسجد الرفاعى



وجهة مسجد الرفاعى

